من أسرار مجيء (سوف) في النظم القرآني

للدكتور

سعد الدين كامل عبد العزيز شحاتة

أستاذ مساعد في قسم البلاغة والنقد

بكلية اللغة العربية بجرجا

قال عبدالقاهر الجرجاني:

«وقد علمتَ إطباقَ العُلماءِ على تعظيمِ شأنِ (النَّظْمِ) وتفخيمِ قَدْرِه، والتَّنويهِ بذكرِهِ، وإجماعِهم أنْ لا فضلَ معَ عَدمِه، ولا قدرَ لكلامٍ إذا هو لم يستقمْ لَهُ، ولو بلغَ في غَرابةِ معناهُ ما بلغ . وبَتَّهُم الحكمَ بأنه الذي لا تَمامَ دونَه، ولا قِوامَ إلا بهِ، وأنه القُطب الذي عليه المدارُ والعمودُ الذي به الاستقلال، وما كانَ بهذا المحلّ من الشَرَفِ، وفي هذِه المنزلةِ من الفضلِ وموضوعاً هذا الموضعَ منَ المزيّة، وبالغاً هذا المبلغَ منَ الفضيلةِ كان حَرِيّاً بأن تُوقَظَ له الهِمَمُ وتُوكَّلَ به النُّفوسُ، وتُحرَّكَ له الأفكارُ، وتُستخدمَ فيه الخواطرُ»[1].

(١) دلائل الإعجاز: عبدالقاهر الجرجاني- تحقيق محمود محمد شاكر، ص: ٨٠. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

من أسرار مجيء (سوف) في النظم القرآني

الدكتور

سعد الدين كامل عبد العزيز شحاتة

أستاذ مساعد في قسم البلاغة والنقد

بكلية اللغة العربية بجرجا

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد.

فللحرف الواحد أهمية خاصة عند علماء اللغة إذ إنه على الرغم من أنه لا يدرك معناه إلا بعد أن يقترن بغيره، فقد يتغير المعنى المراد كاملاً بسببه إذا حذف، أو استبدل بغيره مما هو بمعناه أو قدِّم أو أخِّر أو اقترن بحرف آخر، فالحرف بعد التركيب يصير كالاسم والفعل تماماً في الأهمية فيتغير المقصود به كما يتغير المقصود بهما في الجملة. يقول محققا كتاب الجنى الداني في حروف المعاني: "فإن معاني الأدوات علم نشأ، في ركاب تفسير القرآن الكريم حين كان علماء العربية، والمفسرون، يفصلون المعاني المختلفة، للأداة الواحدة، في النصوص القرآنية، ثم شبَّ هذا العلم وترعرع، حتى استقلَّ بميدانه الخاص المتميز. والمراد بالأدوات: الحروف، وما شابهها من الأسماء

والأفعال والظروف[١]. وقد انتثرت أقوال المتقدمين في معاني الأدوات، بين طيَّات كتب التفسير، وشروح الدواوين، والمصنفات النحوية واللغوية والبلاغية[٢]، والمتأمل في حروف المعاني في القرآن الكريم بشكل عام، و(سوف) بشكل خاص، يجدها قد احتوت الكثير من مظاهر إعجاز القرآن الكريم.

وهذه الحروف قد خُدمت بشكل خاص من الناحية النظرية اللغوية حيث شعر النحاة بضرورة تصنيف كتب خاصة، تضمّ معاني هذه الحروف وتبسط أصولها وأبوابها، وشواهدها، والمذاهب المختلفة فيها، فكان أن صدرت مؤلفات كثيرة في هذا الموضوع، أشهرها: اللامات لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاج، ومنازل الحروف لأبي الحسن علي بن عيسى الرمَّاني، الأزهية في علم الحروف لأبي الحسن علي بن محمد الهروي، ومعاني الحروف لعبد الجليل فيروز الغزنوي، ورصف المباني في حروف المعاني لأحمد بن عبد النور المالقي، والجنى الداني في حروف المعاني لبدر الدين الحسن بن قاسم المرادي، ومعاني الأدوات والحروف لابن قيم الجوزية، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام عبد الله بن يوسف الأنصاري. غير أنّ دراسة هذه الحروف من الناحية التطبيقية البلاغية في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو في النص الأدبي عامة لم تحظ بها عناية العلماء في القديم أو الحديث على الرغم من إشارة القدماء إلى أهميتها وخاصة في نظم القرآن الكريم المعجز فها هو الإمام عبدالقاهر الجرجاني بجعل الحروف من الأبواب التي يبتغيها الناظم بنظره فيقول

(١) كشف الظنون حاجي خليفة ص: ١٧٢٩.
(٢) الجنى الداني في حروف المعاني – صنعة الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاصل ص٣، ط. منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

مشيراً إلى بعض هذه الحروف: "وذلك أنَّا لا نعلمُ شيئاً يبتغيِه النّاظمُ بنظمِه غيرَ أنْ ينظرَ في وجوهِ كلَّ بابٍ وفُروقه..... وينظرُ في (الحروف) التي تشتركُ في معنًى ثم ينفردُ كلُّ واحدٍ منها بخصوصيّةٍ في ذلك المعنى، فيضع كلاً من ذلك في خاصَّ معناه"(١).

ويقول في موضع آخر: "معلومٌ أنْ ليسَ النظمُ سِوى تَعليقِ الكَلِمِ بعضِها ببعضٍ وجعلِ بعضِها بسببٍ مِن بعضٍ، والكلمُ ثلاثٌ: اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ. وللتَّعليقِ فيما بَيْنَها طرقٌ معلومةٌ، وهو لا يَعْدو ثلاثةَ أقسامٍ : تعلق اسمٍ باسمٍ، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما"(٢).

فلما رأيت هذا الجانب من البحث التطبيقي البلاغي للحروف في النظم القرآني لم يُوَفَّ حقه أردت أن أشمر عن سواعد الجد والاجتهاد وأحاول سدَّ تلك الثغرة التي لم تسدّ من قبل على الوجه الأكمل فوقع اختياري على الحرف (سوف) فاستخرت الله تعالى واستشرت بعض أساتذة التخصيص فشرح الله صدري لهذا الموضوع فكان عنوانه: «من أسرار مجيء (سوف) في النظم القرآني».

أسباب اختيار الموضوع:

وكان ممن حفزني إلى الكتابة في هذا الموضوع عدة حوافز أجملها في الآتي:

١ -الأهمية البالغة لدراسة أسرار مجيء حروف المعاني في النظم القرآني؛ إذ هي أحد تصريفات النظم عند عبد القاهر الجرجاني الذي أثبت عن طريقه إعجاز القرآن الكريم.

٢ -لم تقم دراسة بلاغية -فيما أعلم- تقوم على دراسة أسرار مجيء (سوف) في النظم القرآني.

(١) دلائل الإعجاز: ص٨١.
(٢) دلائل الإعجاز: ص٤.

٣-أهمية هذا الحرف وأثره في أداء المعنى القرآني في المواضع التي ورد فيها في القرآن الكريم كما سنرى ذلك واضحاً جليّاً في البحث.

٤-كثرة ودقة معاني هذا الحرف (سوف) جعلته يرد في قضايا كبرى تتعلق بالإيمان والعقيدة، كانت محل خلاف عند علماء علم الكلام؛ لأن بعضهم لم يراع بعض دقائق معاني (سوف).

خطة البحث:

يتكون هذا البحث - بمشيئة الله تعالى- من: مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس فنية، على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطته، ومنهجه.

التمهيد: وأتحدث فيه عن أمرين:

الأول: دلالة (سوف) عند اللغويين والمفسرين.

الثاني: النظم القرآني عند الإمام عبدالقاهر الجرجاني.

الفصل الأول: من أسرار مجيء (سوف) للوعيد.

الفصل الثاني: من أسرار مجيء (سوف) للوعد.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث وتوصياته.

الفهارس: فهرس الشواهد القرآنية موضوع البحث، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث

سأسير – بمشيئة الله تعالى– في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، حيث أقوم باستقراء الآيات التي جاءت فيها (سوف) في القرآن الكريم ثم أقوم بتقسيمها على فصلي الدراسة، فأبدأ بذكر الآية التي جاءت بها (سوف) ثم أتبعها بذكر المعنى العام لها في إيجاز غير مخل ثم أتبعه بتحليل نظم الآية محاكياً في ذلك طريقة الإمام عبد القاهر في دراسته لنظم القرآن الكريم، ثم أتبع ذلك بالنص على بعض أسرار مجيء (سوف) في هذا النظم حتى تكون تلك الأسرار آخر ما يعلق في ذهن القارئ لنظم الآية التي جاءت بها (سوف).

وهذا وإن كان في ظاهر الأمر قد يكون تكراراً لما جاء في دراسة نظم الآية إلا أنه في الحقيقة لن يحرم زيادة القول فيه بما يفيد القارئ، وهذا على العموم يكون كالخلاصة لما جاء قبله، متبعاً في كل ذلك خطوات المنهج المعمول بها في البحث العلمي الحديث وهي كالتالي:

١ – جمع مادة البحث من آيات سور القرآن الكريم.

٢ – تصنيف هذه الآيات وتقسيمها على فصلي البحث.

٣ – عزو الآيات – موضوع الدراسة– إلى سورها مع ذكر أرقامها من السورة.

٤ – شرح الكلمات الغريبة.

٥ – ضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٦ – الالتزام بقواعد الكتابة.

التمهيد

الأول: دلالة (سوف) عند اللغويين والمفسرين

يجدر بنا قبل أن نتحدث عن أسرار مجيء (سوف) في النظم القرآني أن نتعرف على دلالتها:

أولاً: عند اللغويين. **يقول المرادي: "(سوف) حرف تنفيس، يختص بالفعل المضارع ويخلصه للاستقبال"(١). وأضاف السمين الحلبي أنها تفيد التراخي قال: (سوف) حرف تنفيس وتراخ في الزمان يخلص المضارع للاستقبال بعد احتماله للزمنين"(٢). ومعنى أن (سوف) حرف تنفيس يفسره ابن هشام بقوله: ومعنى قول المعربين (حرف تنفيس): حرف توسيع وذلك أنها تقلب المضارع من الزمن الضيق وهو الحال إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال(٣).**

أي أنّ (سوف) يطلق عليها حرف تنفيس وتراخ واستقبال، لكن الأوضح كما ذهب ابن هشام انطلاقاً من قول الزمخشري: أنها حرف استقبال، قال ابن هشام: وأوضح من عباراتهم قول الزمخشري وغيره: حرف استقبال وتنفيس(٤).

اللغات الواردة في (سوف):

يقال في (سوف): سف بحذف الوسط، وسو بحذف الأخير، وسى بحذف الحرف الأخير وقلب الوسط ياء مبالغة في التخفيف حكاها صاحب المحكم(٥).

---

(١) الجنى الداني: ص٤٥٨.
(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ- السمين الحلبي، تحقيق محمد باسل عيون السود ج٢/ص٢٣٦، ط. دار الكتب العلمية.
(٣) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن مبارك، ج١/ص١٨٥، ط. دار الفكر.
(٤) مغني اللبيب: ج١/ص١٨٤.
(٥) مغني اللبيب: ج١/ص١٨٥.

الفرق بين (سوف) و(السين):

فرَّق العلماء بين (سوف) و(السين) من عدة وجوه:

الأول: **أن (سوف) مرادفة للسين في دلالة كل منهما على الاستقبال لكن (سوف) أوسع زماناً منها عند البصريين، وحجتهم في ذلك أنها أكثر حروفاً من السين أي أن مدة الاستقبال مع (سوف) أوسع من السين، وأبلغ في التنفيس من السين**(١). **وإلى هذا الرأي مال الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي، وهو مذهب البصريين، ولكن رُدَّ عليهم بأنَّه ليس بمطَّرد**(٢).

وذهب الكوفيون إلى أن السِّين وسوف سيّان في التنفيس، واختار ابن مالك أيضاً استواءهما(٣).

الثاني: **تنفرد (سوف) عن السين بدخول اللام -لام الابتداء- عليها نحو قوله تعالى: (ولسوف يعطيك ربك فترضى) أي ولأنت وليست كذلك السين، قال أبو حيان: وإنما امتنع إدخال اللام على السين كراهة توالي الحركات في (لسيدحرج) ثم طرد الباقي**(٤).

الثالث: **أن الغالب على (سوف) استعمالها في الوعيد والتهديد، وعلى السين استعمالها في الوعد، وقد تستعمل سوف في الوعد والسين في الوعيد**(٥).

ثانياً: دلالة (سوف) عند المفسرين:

(١) الجنى الداني: ص٤٥٨، وعمدة الحفاظ: ج٢/ص٢٣٦، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: أبوالفضل إبراهيم، ج٢/ ص١٩٨. وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ج٥/ص٣٥٨.
(٢) مغني اللبيب: ج١/ص١٨٥.
(٣) الجنى الداني: ص٤٥٨.
(٤) الإتقان في علوم القرآن: ج٢/ص١٩٨، ومغني اللبيب ج١/ص١٨٥، والجنى الداني: ص٤٥٨.
(٥) الإتقان في علوم القرآن: ج٢/ص١٩٨.

لقد أضاف المفسرون إلى (سوف) بعض المعاني التي لم يتنبه إليها اللغويون وهي:

١ – أنّ (سوف) تأتي لتأكيد إثبات الوعيد والوعد والمبالغة فيه، ذهب إلى ذلك واختاره معظم المفسرين من أمثال: فخر الدين الرازي – أبي حيان الأندلسي – الألوسي – الشهاب الخفاجي – البقاعي –[١].

٢ – أن (سوف) قد تتمحض دلالتها للوعيد ولا تفيد التسويف والتبعيد وهذا الرأي للألوسي والبقاعي وزاده[٢].

(١)التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب- فخر الدين الرازي: ج١١/ص١٥٤. ط دار الكتب العلمية، بيروت. والبحر المحيط: ج٥/ص٣٤٠، وحاشية الشهاب: ج٣/ص٣٨٤، وروح المعاني: ج٣/ص٢٦٨، ونظم الدرر. ينظر: البحث: ص١١٣، ١١٤.
(٢) ينظر: ص ٨٥ من البحث.

الثاني: النظم القرآني عند الإمام عبدالقاهر الجرجاني

لقد اتفقت كلمة العلماء قديماً وحديثاً على أنّ القرآن الكريم معجزة النبي -ﷺ- الخالدة إلى قيام الساعة، كما اتفقت كلمتهم على أن القرآن الكريم معجز بنظمه البديع الذي عجزت عنه قوى الإنس والجنّ، ومن هنا شرع العلماء على اختلاف ثقافتهم وتنوع مشاربهم في البحث في شأن النظم، فتكلم فيه علماء كثيرون، لكن أعظم من تحدث عن النظم هو شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني -رحمه الله تعالى- فقد أفاد من كل من تكلم عن النظم قبله من الجاحظ إلى أبي بكر الباقلاني وإن كان أعظم من أفاد منهم وتأثر بهم هو القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه. والمجال لا يتسع لبيان وجه هذه الإفادة منه، وقبل أن أعرض رأي عبد القاهر الجرجاني في النظم أقوم بتعريفه في اللغة، جاء في لسان العرب: النظم: التأليف... ونظمت اللؤلؤ: جمعته في السلك(١). وكلام عبد القاهر عن النظم جاء منسقاً تنسيقاً لا نقول قلَّ أن يوجد له نظير بل نقول لا يوجد له نظير في تآليف علماء الأمة، وحسبنا أن نعرف أن الإمام قبل أن يتحدث عن النظم ويقوم بشرحه وإفهامه الناس في كتاب قلَّ أن يجود الزمان بمثله وهو كتاب دلائل الإعجاز، قدم لنظريته بكتابه أسرار البلاغة كي يحكم الأصل الذي قام عليه الإعجاز، ويعلم بدياً أن الناس قد علموا هذا الأصل وعرفوه معرفة يقين فحينئذ يدركون النظم وأن القرآن معجز بنظمه. لذا يقول الشيخ أبو موسى: "وليس في أسرار البلاغة كلمة واحدة في الإعجاز، ويترجح أن هذا الكتاب بمثابة المقدمة لكتاب دلائل الإعجاز الذي عقده للبحث عن الشيء الذي تجدد بالقرآن فبان به وبهر وقهر وقطع الأطماع، وهذا لا يمكن أن

(١) لسان العرب: مادة نظم.

يعرف إلا إذا أحكمنا الأصل الذي قام عليه كتاب أسرار البلاغة وهو معرفة الأصل الذي به يفضل كلام كلاماً ووازنا ذلك بالقسطاس كما قال الشيخ، ولا يستطيع أحد أن يدرك شيئاً من إعجاز القرآن ما دام قد فقد القدرة على تمييز الكلام ومعرفة فاضلة وأفضله، ولهذا قلت: إن كتاب أسرار البلاغة يأتي في النسق العلمي كمقدمة لكتاب دلائل الإعجاز"(١).

والإمام قبل أن يعرف النظم ويشرح نظريته فيه بيَّن أنه المغزى من كل العلوم وخاصة علم البلاغة الذي كان يطلق عليه مصطلح الفصاحة والبيان والبراعة والبلاغة فكل هذه المصطلحات تعني عنده علم البلاغة الذي عرَّفه بقوله: "ما يعبَّر به عن فضلِ بعضِ القائلين على بعضٍ من حيثُ نَطَقوا وتكلَّموا وأخبروا السامعين عنِ الأَغراض والمقاصد وراموا أنْ يُعلموهُم ما في نفوسهم ويكشِفوا لهم عن ضمائرِ قلوبهم"(٢).

قلت: إنَّ عبد القاهر جعل النظم هو المغزى الحقيقي لعلم البلاغة فعليه المدار في معرفة الحسن في الكلام وبه يعرف كيف يفوق الشيء نظيره والمجانس له درجات كثيرة، يقول عبد القاهر: "ولم أزلْ منذُ خدمتُ العِلْمَ أنظرُ فيما قاله العلماءُ في معنى الفصاحةِ والبلاغةِ والبيانِ والبَراعةِ وفي بيانِ المَغْزى من هذه العباراتِ وتفسيرِ المُرادِ بها فأجدُ بعضَ ذلك كالرَّمز والإيماء والإشارةِ في خَفَاء . ... ووجدت المُعَوَّلَ على أن ههنا نَظماً وترتيباً وتأليفاً وتركيباً وصياغةً وتصويراً ونَسْجاً وتحبيراً، وأنَّ سبيلَ هذه المعاني في الكلام الذي هيَ مجازٌ فيه سبيلُها في الأَشياءِ التي هي حقيقةٌ فيها. وأنه كما يفضلُ هناك النظمُ

(١) مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني د. محمد محمد أبوموسى ص٥٦، ط. مكتبة وهبة.
(٢) دلائل الإعجاز: ص٤٣.

النظْمَ والتأليفُ التأليفَ والنَّسخُ النسجَ والصيّاغةُ الصيّاغةَ. ثم يعظُمُ الفضْلُ وتكثُر المزيَّةُ حتى يفوقَ الشّيءُ نظيرَه والمُجانسُ له درجاتٍ كثيرة. وحتى تتفاوتَ القِيَمُ التّفاوتَ الشّديدَ. كذلك يفضلُ بعضُ الكلام بعضاً ويتقدَّم منه الشيءُ الشيءَ ثم يزدادُ فضلُه ذلك ويترقّى منزلةً فوقَ منزلةٍ ويعلو مَرْقباً بعدَ مَرقبٍ. وتُستَأنفُ له غايَةٌ بعدَ غايةٍ حتى ينتهيَ إلى حيثُ تنقطعُ الأَطماعُ وتُحْسَرُ الظنونُ وتَسقطُ القُوى وتَستوي الأقدامُ في العَجز"[1].

والإمام عبد القاهر تحدث عن الفرق بين نظم الحروف ونظم الكلم أو بين قولنا: حروف منظومة، وكلم منظومة: فجعل نظم الحروف هو تواليها في النطق وليس نظمها بمقتضي عن معنى، ولا الناظم لها بمقتفٍ في ذلك رسماً من العقل اقتفى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه.

وأما نظمُ الكلمِ فليسَ الأَمرُ فيه كذَلك لأنك تَقْتضي في نظمِها آثارَ المعاني وتُرتِّبُها على حسبِ ترتيبِ المعاني في النَّفس[2].

فنظم الكلم هو تناسق دلالتها وتلاقي معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل، ... ...فلا يُتصوَّرُ أن تعرفَ لِلَّفظِ موضعاً من غيرِ أن تعرفَ معناه ولا أنْ تتوخَّى في الألفاظِ من حيثُ هي ألفاظٌ ترتيباً ونظماً أنّك تتوخَّى التَّرتيبَ في المعاني وتُعملُ الفِكرَ هناك . فإذا تمَّ لك ذلك أتبعتَها الألفاظَ وقَفَوْتَ بها آثارَها. وأنك إذا فرغتَ من ترتيبِها في نفسِك لم تحتجْ إلى أن تستأنفَ فِكراً في ترتيبِ الألفاظِ بل تجدُها تترتَّبُ لك بحُكْمِ أنّها خَدَمٌ للمعاني وتابعةٌ لها ولاحقةٌ بها[3]. والإمام عبد القاهر

(١) دلائل الإعجاز: ص٣٤، ٣٥.
(٢) دلائل الإعجاز: ص٤٩.
(٣) دلائل الإعجاز: ص٥٤.

يجعل النظم هو توخي معاني الإعراب، يقول: "وإذا كان كذلك، فبنا أن ننظرَ إلى التَّعليق فيها والبناءِ –بقصد الكلم–وجعلِ الواحدة منها بسببٍ من صاحِبَتِها، ما معناهُ وما محصولُه؟ وإذا نظرْنا في ذلك علمْنا أنْ لا محصولَ لها غير أن تعمدَ إلى اسمٍ فتجعلُه فاعلاً لفعلٍ أو مفعولاً. أو تعمدَ إلى اسمين فتجعلُ أحدَهُما خبراً عنِ الآخر أو تُتبعُ الاسمَ اسماً على أن يكونَ الثاني صفةً للأول أو تأكيداً له أو بدلاً منه .... إلى أن يستعرض الإمام معظم معاني الإعراب ثم يقول: وعلى هذا القياس.

تعريف النظم عند عبد القاهر:

يقول عبد القاهر في تعريفه للنظم: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يَقتضيهِ علمُ النّحو وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه وتعرفَ مناهجَهُ التي نُهِجَتْ فلا تزيغُ عنها وتحفَظُ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك فلا تُخلَّ بشيءٍ منها"(١).

ومراد عبد القاهر بعلم النحو هنا هو علم معاني النحو، أو النحو البلاغي، أو علم المعاني عند البلاغيين، أما علم البيان من تشبيه ومجاز وكناية فقد جعله عبد القاهر ثمرة للنظم، " فقد كان ينظر إلى البلاغة على أنها علم واحد أساسه النظم الذي تتفرع منه مسائل المعاني، ومن هذه المعاني تتكون الصور البيانية الرائعة من تشبيه ومجاز وكناية واستعارة وتمثيل على حدّ الاستعارة متضمنة قيماً جمالية راجعة إلى جمال المعاني قبل أن تكون زينة للألفاظ"(٢).

ما يبتغيه الناظم بنظمه:

(١) دلائل الإعجاز: ص٨١.
(٢) نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني، د. حسن إسماعيل عبدالرازق ص٨٥، ونظرية البيان بين عبد القاهر والمتأخرين، د/حسن إسماعيل عبدالرازق ص٢٥٣، ط. دار الطباعة المحمدية.

على الناظم أن يختار ما يسمي بالبديل الأوفق لأداء معانيه، فإذا كان هذا المعنى يمكن أن يؤدي بأكثر من وجه فهناك من هذه الوجوه ما هو أمثل، أو أنّ هذه الوجوه تتفاوت وتتفاضل في أداء هذا المعنى، فعلى الناظم أن يختار أفضلها، فإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بعدة كلمات فهناك كلمة واحدة هي الأنسب لأداء هذا المعنى، فينبغي على الناظم أن يأتي بها في نظمه، وكذلك الحال في الجمل، فإذا كان هناك معنى يمكن أن يعبر عنه بعدة جمل فلا بد وأن يكون من بين تلك الجمل جملة واحدة هي الأوفق لأداء هذا المعنى، فلابد للمتكلم أو الناظم أن يتحراها، وكذلك الحروف وأدوات الربط فإذا كان هناك معنى يمكن أن يعبر عنه بأكثر من حرف أو أداة لاشتراكها في هذا المعنى فلا بد وأن أحد هذه الحروف أو الأدوات له مزيد اختصاص بهذا المعنى فيجب على المتكلم أو الناظم أن يأتي به، يقول الإمام عبد القاهر: " وذلك أنَّا لا نعلمُ شيئاً يبتغِيه النّاظمُ بنظمِه غيرَ أنْ ينظرَ في وجوهِ كلَّ بابٍ وفُروقه، فينظرُ في الخبرِ إلى الوجوهِ التي تَراها في قولك: "زيدٌ منطلقٌ" و"زيدٌ ينطلقُ" و"ينطلقُ زيدٌ" و"منطلق زيدٌ" و"زيدٌ المنطلقُ" و"المنطلقُ زيدٌ" و"زيدُ هوَ المنطلقُ" و"زيدٌ هو منطلقٌ"، وفي الشرطِ والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك : إنْ تخرجْ أخرجْ، وإن خرجتَ خرجتُ، وإن تخرجْ فأنا خارجٌ، وأنا خارجٌ إن خرجتَ، وأنا إنْ خرجتَ خارجٌ، وفي الحالِ إلى الوجوهِ التي تَراها في قولك : جاءني زيدٌ مسرعاً، وجاءني يُسرعُ، وجاءني وهو مُسرعُ أو هو يُسرع، وجاءني قد أسرعَ، وجاءني وقد أسرع . فيعرفُ لكلٍّ من ذلك موضعَه ويجيءُ به حيثُ ينبغي له.

وينظرُ في الحروف ... ...

وينظرُ في الجملِ ... ...

ويتصرفُ في التّعريفِ والتَّنكيرِ، والتّقديمِ والتّأخيرِ في الكلام كُلَّه، وفي الحذفِ والتَّكرارِ والإضمارِ والإظهار، فيصيب بكلٍّ من ذلك مكانَهُ ويستعملهُ على الصّحَّة وعلى ما ينبغي له.

هذا هو السَّبيل، فلستُ بواجدٍ شيئاً يرجعُ صوابُه إنْ كان صواباً وخطؤه إن كانَ خطأً إلى النَّظم ويدخلُ تحتَ هذا الاسم إلا وهو معنًى من معاني النحوِ قد أُصيبَ به موضعُهُ ووُضِع في حقه أو عُوملَ بخلافِ هذه المعاملة... ...إلا وأنت تجدُ مرجعَ تلك الصحَّةِ وذلك الفسادِ وتلكَ المزيةِ وذلك الفضلِ إلى معاني النَّحو وأحكامِه"[1].

والإمام لم يقتصر على الكلمة التي يؤدى بها المعنى في النظم في ذاتها فقط بل أوجب النظر إلى موقعها في النظم وفضل مؤانستها لمعاني جاراتها. يقول الإمام عبد القاهر: "ولا جهةَ لاستعمال هذه الخصالِ غير أنْ يأتي المعنى من الجهةِ التي هيَ أصحُّ لتأديتهِ ويختارُ له اللفظُ الذي هو أخصُّ به وأكشَفُ عنه وأتمُّ له وأَحرى بأن يُكسِبَه نُبلاً ويُظهرَ فيه مزيَّةً، وإذا كان هذا كذلك فينبغي أن يُنظرَ إلى الكلمةِ قبلَ دخولها في التأليف وقبلَ أنْ تصيرَ إلى الصورة التي بها يكونُ الكلِم إخباراً وأمراً ونهياً واستخباراً وتعجباً وتؤديَ في الجملة معنًى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلاَّ بضمَّ كلمةٍ إلى كلمةٍ وبناءِ لفظةٍ على لفظةٍ... ..." ثم يقول الإمام: "وهل تجدُ أحداً يقولُ: هذه اللفظةُ فصيحةٌ إلاَّ وهو يعتبرُ مكانَها منَ النظم وحسنَ مُلائمةِ معناها لمعنى جاراتِها وفضلَ مؤانَستها لأخواتها؟ وهل قالوا: لفظةٌ متمكِّنةٌ ومقبولةٌ، وفي خلافهِ: قلقةٌ ونابيةٌ ومستكرهةٌ إلا وغرضُهم أن يُعبروا بالتمكُّن عن حسنِ الاتفاقِ بينَ هذه وتلك من جهةِ معناهُما، وبالقلقِ والنُّبوّ عن

(١) دلائل الإعجاز: ص٨١، ٨٢، ٨٣ وما بعدها.

سوء التلاؤم، وأنَّ الأولى لم تَلِقْ بالثانية في مَعناها وأن السابقَةَ لم تصلُحْ أن تكونَ لِفقاً للتالية في مُؤدَّاها"(١).

كيفية دراسة نظم القرآن الكريم:

ومن عبقرية الإمام عبدالقاهر الفذة أنه لم يترك القارئ لنظريته في النظم إلا بعد أن يعطيه نماذج تطبيقية من القرآن الكريم وغيره من النصوص الأدبية الرفيعة لتكون هذه النماذج مثالاً يحتذى به عند دراسة النظم. وهذا أنموذج من النماذج التي ذكرها عبد القاهر يقول: "وهل تشكُّ إذا فكرتَ في قولهِ تعالى: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ژ (هود: ٤٤) فتجَلَّى لك منها الإعجازُ وبَهَرك الذي تَرى وتَسمع، أنك لم تَجدْ ما وجدتَ منَ المزيَّةِ الظاهرة والفضيلةِ القاهرة إلا لأمرٍ يرجعُ إلى ارتباطِ هذه الكلمِ بعضِها ببعضٍ وأن لم يعرضْ لها الحسنُ والشرفُ إلاّ مِنْ حيثُ لاقتِ الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا إلى أن تستقرِيَها إلى آخرِها وأنَّ الفضلَ تَنَاتَجَ ما بينها وحصلَ من مجموعها؟ إن شككتَ فتأملْ! هل ترى لفظةً منها بحيثُ لو أُخذتْ من بين أخواتها وأُفردتْ لأَدَّتْ منَ الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها منَ الآية قُل: "ابلعي" واعتَبِرْها وحدَها من غيرِ أن تنظرَ إلى ما قبلها وإلى ما بعدَها، وكذلك فاعتبرْ سائرَ مايليها. وكيفَ بالشكَّ في ذلك ومعلومٌ أنَّ مبدأ العظمةِ في أن نُوديتِ الأرضُ ثم أُمرتْ ثم في أنْ كانَ النداءُ بـ " يا " دُوْنَ " أيّ " نحوُ : يا أيتها الأرضُ . ثم إضافةُ الماءِ إلى الكافِ دونَ أن يقالَ : ابلعي الماءَ، ثم أنْ أُتبعَ نداءُ الأرض وأمرُها بما هو من شأنها، ونداءُ السماء وأمرُها كذلك بما يخصُّها . ثم أنْ قيلَ : وغيضَ الماءُ . فجاء الفعل على صيغة " فُعِلَ " الدالَّة على أنه لم يَغِضْ إلاّ بأمرِ آمرٍ وقدرةِ قادر. ثم تأكيدُ ذلك وتقريره

(١) دلائل الإعجاز: ص٤٤، ٤٥.

بقولهِ تعالى: (وقُضِيَ الأمرُ). ثم ذكَر ما هو فائدةُ هذهِ الأمورِ وهو (استوتْ على الجوديَّ). ثم إضمارُ السفينةِ قبلَ الذكرِ كما هو شَرْطُ الفخامةِ والدَّلالةِ على عِظَمِ الشأن. ثم مقابلةُ "قيل" في الخاتمةِ بـ "قيل" في الفاتحة. أَفَتَرى لشيءٍ من هذه الخصائصِ التي تملؤك بالإعجازِ روعةً، وتحضُرُك عندَ تصورِها هيبةٌ تحيطُ بالنفس من أقطارِها"(١).

لقد أطلت في نقل نصوص الإمام عبد القاهر في نظريته بعض الشيء وكانت تعليقاتي عليها مقتضبة؛ لأنني رأيت أمرين:

الأول: وضوح هذه النصوص وقربها من ذهن القارئ وعقله؛ لأنها امتازت بما امتاز به أسلوب عبد القاهر في عرض أفكاره وقضاياه فهو يمتاز بالسهولة والوضوح، فلم أشأ أن أعكر هذا الوضوح بكثرة التعليقات التي لا فائدة فيها، والتي تؤدي في معظم الأحيان إلى التعمية والغموض في الفكر بدلاً من إيضاحها فآثرت أن تكون تعليقات بسيطة غير مخلة وتؤدي الغرض ولا آتي بها إلا إذا طلبها المقام.

الثاني: اكتمال نظرية النظم في فكر عبد القاهر؛ لأنه أطلقها ساعة نضجها فلم تكن ككثير من النظريات التي خرجت من فم أصحابها قبل نضجها، أو التي ولدت قبل أوانها، لذا أتى من بعدهم فأضافوا إليها ما يكملها بما يصلحها تارة أو يفسدها وينقصها تارات كثيرة. وقد عمدت إلى ذكر كيفية دراسة نظم القرآن الكريم عند صاحب النظرية ومبدعها الإمام عبد القاهر الجرجاني لأومئ إلى أن دراستي للنظم في الآيات التي جاءت بها (سوف) ستحاكي هذا الأنموذج الرائد.

(١) دلائل الإعجاز: ص٤٥، ٤٦.

الفصل الأول

من أسرار مجيء (سوف) للوعيد

١ – قال تعالى: ژ ڈ ڈ ڈ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ النساء: ٢٩ – ٣٠ .

المعنى العام: مناسبة هاتين الآيتين لما قبلهما أن أحكام المواريث والنكاح اشتملت على أوامر بإيتاء ذي الحق في المال حقه فانتقل إلى عام في الأموال والأنفس لينهاهم عن تناول أموال النساء والصغار من الإرث وغير ذلك مما نهى الله عنه، ولما نهاهم الله عن الأكل بالباطل استدرك ما ليس كذلك كالأموال المدارة المتداولة بينهم كالتجارة التي تكون عن تراضٍ فهي غير منهي عنها، ثم نهى الله – عزَّ وجلَّ– عن قتل النفس المتعلقة بذواتهم ومن يفعل المنهي عنه من أكل أموال الناس بالباطل ومن قتل النفس بغير حق يدخله الله –عز وجل– ناراً وكان إدخاله النار يسيراً على الله؛ لأنه لا يمنعه مانع.

النظم: هذه الآية استئناف من التشريع المقصود من هذه السورة، وعلامة الاستئناف افتتاحه بـ(يأيها الذين آمنوا) والنداء بيا وهاء التنبيه ليهيئ الله –عزَّ وجلَّ– القلوب والعقول لتلقي ما يأتي بعد النداء من النهي عن أكل أموال الناس بالباطل وعن أن يقتل الإنسان نفسه، وتعريف المؤمنين بالاسم الموصول؛ لأن جملة الصلة هي المقصودة أي الذين أقروا بالإيمان والتزموا الأحكام أو لأن الإيمان الكامل يتنافى مع هاتين الصفتين المنهي عنهما.

(لا تأكلوا) النهي خرج إلى النصح والإرشاد، والتعبير عن التناول بالأكل؛ لأنه أعظم المقاصد بالمال وهو كناية عن التناول بأي وجه من وجوه الباطل، والعلماء ذكروا في تفسير الباطل وجهين : الأول :

أنه اسم لكل ما لا يحل في الشرع ، كالربا والغصب والسرقة. الثاني : أن الباطل هو كل ما يؤخذ من الإنسان بغير عوض[١]. وغالب هذا المعنى أن يكون استيلاء ظلم، وقد يطلق على الانتفاع المأذون فيه كقوله تعالى: (فكلوه هنيئاً مريئاً) ولذا جاء المنهي عنه مقيداً بالباطل[٢].

وقوله: (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم): أسلوب قصر طريقه (النفي والاستثناء) لأنّ (لا) الناهية في قوة النافية، وهذا الطريق لا يخاطب به إلا المنكر أو الشاك أو ما ينزل منزلتهما، قال عبدالقاهر: "وأما الخبرُ بالنَّفي والإثباتِ نحو ما هذا إلاَّ كذا وإنْ هو إلاّ كذا فيكونُ للأمرِ يُنْكِرهُ المخاطَب ويشكّ فيه . فإذا قلتَ : ما هو إلاّ مصيبٌ أو : ما هو إلاّ مُخطىءٌ قلتَه لمن يدفَعُ أن يكونَ الأمْرُ على ما قلتَه . وإذا رأيتَ شخصاً مِنْ بعيد فقلتَ : ما هو إلاّ زيدٌ لم تقله إلاّ وصاحبُك يتوهّم أنه ليس بزيدٍ وأنه إنسانٌ آخرُ ويجدُّ في الإنكارِ أن يكونَ كذلك[٣]. هذا وقد استدرك الشيخ أبو موسى بعض المواقع لا يجري فيها النفي والإثبات وفق أحوال المخاطبين لأنه عند التأمل نجد الكلام لا يستقيم لو حاولنا اعتسافه على ما قرَّره الإمام عبد القاهر والبلاغيون، وضرب على ذلك مثلاً، يقول دريد بن الصمة:

ومَا أنا إلا من غزِيّة إنْ غوَتْ ∴ غوَيْتُ وإن ترْشدْ غزِيّةُ أرْشدِ

إنما يؤكد إحساسه بالانتماء إلى رهطه وأنه مقصور على كونه من هذه القبيلة يجري عليه ما يجري عليها، من هداية وغواية، وهذا شيء لا ينكره أحد على الشاعر، وليس معنى مستغرباً أن يكون الرجل

(١) التفسير الكبير: ج١٠/ص٥٧.
(٢) التحرير والتنوير- الطاهر بن عاشور، ج٥/ص٢٣، الدار التونسية للنشر.
(٣) دلائل الإعجاز ص١٢٧.

على هيئة عشيرته في طبعه ومنهجه وسلوكه، فالتوكيد هنا لا يفسره حال المخاطب، وليس خصوصية في اللفظ مستقاة من خارج الذات المتكلمة، وإنما هو خصوصية تفسر شيئاً في داخل المتكلم، فلما كان إحساس دريد إحساساً مؤكداً ومقرراً في ضميره وشعوره، صاغه صياغة مؤكدة ومقررة وليس المراد الردّ على حال المخاطب أو توهم أن أحداً أنكر عليه هذه الحقيقة لأنّ ذلك لو قلناه كان اعتسافاً، وإفراطاً في التكلف يفسد العبارة. فهو منه ما يكون فيه الحديث ضراعة متجهة إلى الله سبحانه مثل قوله تعالى: (لا إله إلا أنت سبحانك) فلا يعقل فيه مراعاة حال المخاطب -جل جلاله- لأنه سبحانه ليس كمثله شيء وإنما هو حال المتكلم وحسه بالمعنى، وأنه متقرر في نفسه مؤكد في ضميره.

وهناك مواقع للنفي والاستثناء لا يفسرها حال المخاطب، ولا يفسرها حال المتكلم، وإنما يقال فيها: إن النفي والاستثناء جاء لمحض التوكيد والتقرير كقوله تعالى: (اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين) فليس المخاطب -عليه السلام- منكراً، ولا منزل منزلة المنكر، وهذا واضح، بل إنّ هذا لو ذهبنا إليه لكان لغواً من القول، كما أن المتكلّم ليس عميق الإحساس بالفكرة قوي الشعور بها؛ لأنه سبحانه جل عن ذلك، وإنما النفي والاستثناء هنا لمحض التوكيد وإفراغ الحقيقة في قالب متين موثوق لتقريرها وتوكيدها في النفوس بهذه اللهجة الحاسمة"[1].

لقد أطلنا في النقل عن الشيخ لأن القصر في الآية لم يراع فيه حال المخاطبين، وإنما جاء لمحض التوكيد والتقرير، وذلك لأن الخطاب

(١) دلالات التراكيب- دراسة بلاغية د. محمد محمد أبوموسى ص:١١٥، ١١٦. ط/ مكتبة وهبة.

للمؤمنين الكاملين في الإيمان قولاً وعملاً، فإيمان هؤلاء من الأصل، ومراقبتهم لله تعالى يمنعانهم عن ارتكاب هذين الأمرين المنهي عنهما.

(أكل أموال الناس بالباطل وقتل أنفسهم) فالنفي والاستثناء جاء لمحض التوكيد والتقرير. ويجوز أن يكون الخطاب في الآية للمؤمنين عامة المطيع منهم والعاصي، فيكون الله عز وجل- قد نزل العصاة منزلة من ينكر أو يشك في حرمة هذين الأمرين المنهي عنهما؛ لأنه بارتكابه لهذين الأمرين صار بمنزلة المنكر لحرمتهما، فعلمه بتحريمهما لم يعصمه عن الزلل والوقوع فيهما. وإن كنت أميل إلى أن الخطاب في الآية إنما هو موجه للمؤمنين عامة؛ لأنّ السياق الذي وردت فيه هذه الآية يتحدث عن أنّ الله تعالى يريد أن يتوب على العصاة من المؤمنين (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً).

ولنا أن نتوقف أمام هذا القصر ونتأمله من ناحية أخرى هي نوعه من حيث كونه متصلاً أم منقطعاً حتى نستطيع توجيه المعنى المراد منه، نقول أولاً: إن تعريف الاستثناء المتصل: ما كان المستثنى فيه بعضاً من المستثنى منه. أمّا تعريف الاستثناء المنقطع فهو: ما لم يكن المستثنى فيه بعضاً من المستثنى منه، أو هو ما كان المستثنى فيه محكوماً عليه بنقيض حكم المستثنى منه، لذا نجد أن الاستثناء في الآية من المتصل والمعنى على المنقطع، فالله عز وجل لما نهى عن أكل الأموال بالباطل استثنى التجارة و"ليست من أكل الأموال بالباطل ، فالمعنى: لكنْ كونُ التجارة غيرُ منهي عنه . وموقع المنقطع هنا بَيِّن جار على الطريقة العربية، إذ ليس يلزم في الاستدراك شمولُ الكلام السابق للشيء المستدرك ولا يفيدُ الاستدراكُ حصراً، ولذلك فهو مقتضى الحال. ويجوز أن يجعل قيد (الباطل) في حالة الاستثناء مُلغى، فيكون استثناء من أكل الأموال ويكون متّصلاً ، وهو

يقتضي أن الاستثناء قد حصر إباحة أكل الأموال في التجارة ، وليس كذلك، وأياماً كان الاستثناء فتخصيص التجارة بالاستدراك أو بالاستثناء لأنّها أشدُّ أنواع أكل الأموال شَبَهاً بالباطل"[١].

فالله لَمَّا نهي عن الأكل بالباطل، استدرك ما ليس كذلك فقال: إلا أن تكون أي المعاملة المتداولة بينكم تجارة كائنة عن تراض منكم فهي غير منهي عنها من الشارع "ولعل الإتيان بأداة الاستثناء المتصل – والمعنى على المنقطع – للإشارة إلى أن تصرفات الدنيا كلها جديرة بأن يجرى عليها اسم الباطل ولو لم يكن إلا معنياً بها تزهيداً فيها وصدّاً عن الاستكثار منها، وترغيباً فيما يدوم نفعه ببقائه، وهكذا كل استثناء منقطع في القرآن، من تأمله حق التأمل وجد للعدول عن الحرف الموضوع له – وهو لكن – إلى صورة الاستثناء حكمة بالغة – والله الموفق"[٢]، فإلاّ بمعنى (لكن) الاستدراكية. ولعل سرَّ الجمع في النهي بين المال والنفس؛ لأن المال عديل الروح، ولما نهى عن إتلافه بالباطل ، نهى عن إتلاف النفس ، لكون أكثر إتلافهم لها بالغارات لنهب الأموال[٣]. وتقديم النهي عن أكل المال على قتل النفس إمّا لأنّ مناسبة ما قبله أفضت إلى النهي عن أكل الأموال فاستحق التقديم، وإما لأنه أسهل. (ولا تقتلوا أنفسكم): أي حقيقة بأن يباشر الإنسان قتل نفسه ، أو مجازاً بأن يقتل بعضكم بعضاً بغير حق من الشرع كقتل القصاص.

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور ج٥/ص٢٣. ط/ الدار التونسية.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- البقاعي ج٥/ص٢٥٩. ط. دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

(٣) نظم الدرر ج٥/ص٢٦٠.

(إن الله كان بكم رحيما): الجملة تعليل لما قبلها، فمن رحمته النهي عن أكل المال بالباطل والنهي عن قتل الأنفس بغير وجه الحقّ.

(ومن يفعل ذلك) ترهيبٌ من الله عز وجل- لمن يفعل المنهي عنه من أكل أموال الناس والقتل وغير ذلك. والواو استئنافية، و(مَنْ) اسم شرط جوابه (فسوف نصليه ناراً).

(عدوانا وظلماً) أي بغير حق، وعطفه للوصف بالواو يدل على تناهي كل منهما، وهما حالان من فاعل يفعل أي من يفعله معتدياً وظالماً، وفائدة التقييد بهما الاحتراز عن قتل القصاص، وهذان القيدان يخرجان أكل المال بوجه الحقّ وقتل النفس قصاصاً. (فسوف نصليه ناراً) أي ندخله إياها بوعيد لا خلف فيه وإن طال إمهالهإلى يوم القيامة، ولعل سرّ إيثار (سوف) هنا كأن الله يمهل من فعل ذلك عدواناً وظلماً حتى يتوب ولا يستعجل له العقوبة في الدنيا، وهذا ما يتوافق مع عظمة الله ومع سياق الآية. (وكان ذلك) أي الأمر العظيم الذي توعد به. (على الله) أي الذي له الجلال والجمال). (يسيراً) أي لأنه لا ينقصه من مكله شيئاً ، ولا يمنع منه مانع[1].

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) هنا أن الآية تتحدث عن جزاء عصاة المسلمين في الآخرة؛ لذا أتى الله –عز وجل- بأداة تفيد أمرين: الأول: الاستقبال ، فهي تقلب المضارع من الزمن الضيق –وهو الحال- إلى الزمن الواسع الذي لا يعلم مداه إلا الله – سبحانه- واصطلاء النار لا يكون إلا في الآخرة، وتوقيتها مما اختص الله – عزوجل- به، فهي مناسبة تمام المناسبة لهذا المعنى المراد من الآية.

(١) نظم الدرر: ج٥/ص٢٦١.

الثاني: أن أكثر استعمالها في مقام الوعيد، والله –عز وجل– يتوعد هؤلاء العصاة لإصلائهم النار يوم القيامة بوعيد لا خلف فيه، فهو متحقق لا محالة وإن طال إمهال الله لهم.

فإن قلنا: إنّ جزاء المرابين قد يلحق بهم في الدنيا كما هو مشاهد أو أنّ من قتل نفساً قد يقتل بها قصاصاً في الدنيا فما فائدة (سوف) حينئذ؟ نقول: –والله أعلم– إن (سوف) تفيد التنفيس وهو التوسيع مطلقاً سواء أكان بعيداً أم قريباً المهم أنها تخلص المضارع للاستقبال غير المتصل بالحال، فالزمن معها ممتدّ في المستقبل أكثر مما هو بمعناها كالسين، وهناك وقت ممتدّ في المستقبل حتى يقع القصاص وهو وقت التحقق وسماع الشهادات كما الحال هناك وقت ممتدّ في المستقبل يمهل الله به المرابين لعلهم يرجعون قبل أن يحل عليهم الخراب في الدنيا فهم ينتعشون وينعمون بتلك الأموال التي اكتسبوها من الربا حقبة ممتدة من الزمن المستقبلي، هذه الحقبة هي مدّة إمهال الله لهم فإن لم ينتهوا حاربهم الله –عز وجل– بحرب لا قبل لهم بها وإن تابوا في حقبة لإمهال عفا الله عنهم وصدق الله العظيم إذ يقول: ژ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ژ البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩.

كما أن الله تعالى أراد أن يحقق ويؤكد هذا الوعيد وذلك التهديد، و(سوف) تفيد تأكيد الوعيد والتهديد عن أكثر المفسرين من أمثال الرازي والألوسي والشهاب كما سيأتي ذلك في موضعه من البحث، فهذه الحقبة الممتدة في الدنيا تناسبها (سوف) أكثر مما هو بمعناه كالسين وهل؛ لكثرة حروفها.

٢– قال تعالى: ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ ں ں ژ النساء: ٥٦.

المعنى العام: لَمَّا أثبت الله -عزوجلّ- في الآية السابقة النار علّله بقوله: (إن الذين كفروا بآياتنا) أي ستروا ما أظهرته عقولهم من الآيات التي أقامها الله دليلاً على وجوده ، ومن ثَمَّ كان جزاؤهم النار.

النظم: (إنّ) لتأكيد معنى الجملة ومضمونها أي الذين كفروا برسول الله وغيرهم ممن كفر بسائر الأنبياء -عليهم السلام- فإنهم يستحقون هذا الجزاء من الله تعالى لكفرهم بالأنبياء وبالآيات الظاهرة الدالة على وجود الله. وتعريف المسند إليه (الذين كفروا) بالموصولية للإيماء إلى وجه بناء الخبر[1]. ومعنى الإيماء هذا أي طريق إسناده إلى الموصول من كونه مدحاً أو ذمّاً أو نحوهما؛ بأن يذكر في الصلة ما يناسب الخبر[2]. فمدلول الصلة (الذين كفروا) يشير إلى الخبر (سوف نصليهم نارا)، وهذا الأسلوب -أعني إيماء الصلة إلى نوع الخبر- كثير في كتاب الله تعالى نحو قوله: ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ژ الأنبياء: ١٠١. وبلاغة هذا الأسلوب تكمن "في أنه مما يدل فيه أوله على آخره، حتى لتكاد تنطق بالخبر قبل أن ينطق به المتكلم، ولعمري: إنه لفنّ من فنون القول دقيق لا يهتدى إليه إلاّ ذوو الأذواق السليمة والأحاسيس الرقيقة والمشاعر المرهفة"[3]. هذا في كلام البشر فما بالك بكلام رب البشر المعجز. (بآياتنا) هي الدلائل والعلامات التي أودعها الله -عز وجل- في هذا الكون لتدلّ على وجوده وعظمته وأنه خالق مدبر، قال أبو العتاهية:

وفي كل شيء له آية ∴ تدل على أنه الواحد[4]

(١) الإيضاح مع البغية ج١/ص٦٦.
(٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة- عبد المتعال الصعيدي: ج١/ص٦٦.
(٣) النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن إسماعيل عبد الرزاق ص٢٢٨، دار الطباعة المحمدية.
(٤) ديوانه: ص١١٢.

(سوف نصليهم) –(سوف): كلمة تذكر للتهديد والوعيد– أي بوعيد ثابت وإن طال معه الإمهال. (ناراً) التنكير يفيد التعظيم، أي نار عظيمة محرقة لا نجاة لمن يدخلها، ولما "كان ما نعهده – أنها مفنية ماحقة ، استأنف قوله رداً لذلك: (كلما نضجت جلودهم)– فـ(كلما) ظرف زمان والعامل فيه بدلناهم لإضافته إلى ما المصدرية الظرفية– أي صارت الجلود بحرِّها إلى حالة اللحم النضيج الذي أدرك أن يؤكل، أو صارت كاللحم الميت الذي يكون في الجرح ، فلا يحس بالألم (بدَّلناهم) أي جعلنا لهم (جلوداً غيرها) أي غير النضيجة بدلاً منها بأن أعدناها إلى ما كانت عليه قبل تسليط النار عليها ، (ليذوقوا) أي أصحاب الجلود المقصودين بالعذاب ليدوم لهم تجدد ذوقه ، فتجدد لهم مشاهدة الإعادة بعد البلى كل وقت وهذا ما دلت عليه صيغة المضارع في قوله: (ليذوقوا) وهذا تعليل لقوله: (بدلناهم) لأن الجلد مركز الإحساس في الإنسان وهذا من الإعجاز العلمي في القرآن. (إن الله كان عزيزاً حكيماً) أي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء وهو يتقن صنعه، فيجعل عذابهم على قدر ذنوبهم"[1].

والجمع بين الصفتين (إن الله كان عزيزاً حكيماً) في هذا الموضع وفي ختام هذه الآية "في غاية الحسن؛ لأنه قد يقع في القلب تعجب من أنه كيف يمكن بقاء الإنسان في النار الشديدة أبد الآباد فقيل: هذا ليس بعجيب من الله؛ لأنه القادر الغالب على جميع الممكنات ، يقدر على إزالة طبيعة النار، وقد يقع في القلب أنه كريم رحيم ، فكيف يليق برحمته تعذيب هذا الشخص الضعيف إلى هذا الحد العظيم ؟ فقيل : كما أنه رحيم فهو أيضا حكيم، والحكمة تقتضي ذلك. فان نظام العالم لا يبقى إلا بتهديد العصاة، والتهديد الصادر منه لا بد وأن يكون

(١) نظم الدرر ج٥/ص٣٠٥.

مقرونا بالتحقيق صونا لكلامه عن الكذب ، فثبت أن ذكر هاتين الكلمتين ههنا في غاية الحسن"[1].

السرّ في مجيء (سوف):

لعل السر في إيثار (سوف) هنا: أن الآية تتحدث عن عذاب الكافرين في الآخرة، وهذا وإن كان متحققاً لا شك فيه إلا أنّ زمن الاستقبال في الفعل المضارع (نصليهم) ممتد بمقدار لا يعلمه إلا الله، فالقيامة وأهوالها وما يكون فيها من صنوف العذاب –أعاذنا الله منها– لا يعلم متى تقع؟ إلا الله، ومن ثَمَّ كانت (سوف) ملائمة لمعاني جاراتها ومؤانسة لأخواتها في النظم، ولا يصح أن يقع مكانها غيرها من الأدوات التي تخلص المضارع (نصليهم) للمستقبل. كما أن (سوف) مستعملة في الوعيد، وهذا هو الأكثر في استعمالها عند أهل اللغة، فتجلى لنا منها الإعجاز وبهرنا ما رأيناه من أجل تلك المزية التي تحققت في ارتباط (سوف) بغيرها من كلم هذه الآية. كما أنّها تفيد تأكيد الوعيد، وهذا من مناسبات المقام وسياق الآية.

٣– قال تعالى: ژ ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ژ المائدة:١٤.

المعنى العام: أي أخذنا من النصارى ميثاقهم، كما أخذنا ممن قبلهم فنسوا هذا الميثاق فعاقبهم الله في الدنيا بأن أوقع بينهم الكراهة الشديدة ، وفي الآخرة تكون عقوبتهم من جنس ما فعلوا.

النظم: (ومن الذين قالوا إنا نصارى) متعلق بقوله تعالى السابق (أخذنا ميثاقهم) والجملة معطوفة على قوله تعالى: (أخذ الله ميثاق بني إسرائيل)، والتقدير: ومن النصارى أخذنا ميثاقهم بينما عدل الله عنه إلى قوله: (ومن الذين قالوا إنا نصارى) إيماء إلى أنهم ليسوا

(١) التفسير الكبير ج١٠/ص١٠٩.

نصارى بمعنى كونهم أنصار الله تعالى حيث قالوا لعيسى -عليه السلام-: نحن أنصار الله، لأنهم غيَّروا دين الله تعالى وصاروا فرقاً فكانوا أنصار الشياطين ولم يكونوا أنصار الله وقد أمرهم عيسى عليه السلام بذلك حيث قال لهم: كونوا أنصار الله"[1].

(أخذنا ميثاقهم) قال مقاتل: أخذ الميثاق على أهل الإنجيل كما أخذه على أهل التوراة أن يؤمنوا بمحمد -ﷺ- ويتبعوه وهو مكتوب عندهم في الإنجيل. والتعبير بالفعل الماضي في قوله: "أخذنا لحكاية الحال الماضية فقط. (فنسوا حظا مما ذكروا به) أي ما أمروا به من الإيمان وبيان نعته وذلك حظ عظيم فاتهم إلا قليلاً منهم وهم الذين آمنوا به واتبعوه منهم. والتعبير بالماضي في قوله: (نسوا مما ذكروا به) لحكاية الحال الماضية أيضاً.

(فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) أي فألصقنا وألزمنا من غرى بالشيء إذا لزمه ولصق به وأغراه غيره. ومنه الغراء الذي يلصق به، ومعنى (بينهم) أي بين فرق النصارى المختلفين. وقيل: بينهم وبين اليهود.

والعداوة والبغضاء: اسمان من جنس الكراهية الشديدة فهما ضدان للمحبة وإلقاءهما بينهم كان عقاباً في الدنيا. (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) لَمّا أخبر الله بنكدهم في الدنيا أعقبه ما لهم في الأخرى، أي يخبرهم الله الملك الأعلى المحيط بكل شيء قدرة وعلماً إخباراً بعظيم الشأن بما فيه من عظيم التقريع والتوبيخ في الآخرة بوعيد لا خلف فيه؛ ولَمّا كانت خيانتهم قد صارت لهم فيها ملكات بما لازموا منها حتى ضربوا بها وتدربوا عليها ، حتى صارت لهم أحوالاً لأنفسهم وأخلاقاً لقلوبهم، سمَّاها الله تعالى صنائع فقال: (بما كانوا

(١) حاشية زاده ج٣/ص٤٩٦.

يصنعون) أي دربوا أنفسهم عليه حتى صار كالصنعة، فيجازيهم عليه بما يقيم عليهم من الحجة"[١]. (وسوف) الواو استئنافية، وسوف: حرف استقبال، وتسويف، قال أبو حيَّان: هذا تهديد ووعيد شديد بعذاب الآخرة، إذ موجب ما صنعوا إنَّما هو الخلود في النار[٢]. وقال الألوسي: سوف لتأكيد الوعيد[٣]، والمراد بالأنباء إنباء المؤاخذة بصنيعهم، وفي الآية التفات من التكلم في قوله تعالى: (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء) إلى الغيبة في قوله تعالى: (وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة؛ لأنّ مقتضى الظاهر أن يقال: فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف أنبئهم، فعدل عن هذا المقتضى ليلفت انتباه المخاطبين إلى أنّ جزاء هؤلاء كان وفق صنيعهم، وأنه -تعالى- لم يظلمهم. وقال الله: (ينبئهم) ولم يقل يخبرهم؛ "لأن النكتة في التعبير بالإنباء أنهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الأعمال السيئة واستتباعها للعذاب"[٤].

(يصنعون) التعبير عن العمل بالصنع يدل على رسوخهم فيه. وصيغة المضارع توحي بأن نسيانهم للمواعظ وعدم العمل بها متجدد وحادث حالاً بعد حال فهم مستمرون على ترك العمل بشريعتهم.

السر في مجيء (سوف):

يكمن السر في مجيء (سوف) دون غيرها من الحروف التي تخلص الفعل المضارع من الدلالة على الحال والاستقبال للدلالة على الاستقبال أن إنباء هؤلاء بما كانوا يصنعون إنباء مؤاخذه بصنيعهم، وهذا لا يكون إلا في الآخرة، فالاستقبال منقطع الاتصال بالحال، وهذا

(١) نظم الدرر: ج٥/ص٤٥٢.
(٢) البحر المحيط ج٣/ ص٦٢٣.
(٣) روح المعاني: ج٣/ص٢٦٨.
(٤) روح المعاني ج٣/ ص٢٦٩.

ما تدلّ عليه (سوف) دون غيرها. ٢- كما أن السياق تهديد ووعيد من الله لهم وأكثر وقوع (سوف) ومجيئها يكون في سياق الوعيد والتهديد. ٣- كما أن الله -عز وجل- أراد أن يؤكد لهم هذا الوعيد، وذاك التهديد فأتى بـ(سوف) التي تفيد ذلك عند المفسرين من أمثال الرازي، والألوسي، والشهاب كما سيأتي.

٤- قال تعالى: ژ گ گ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ژ المائدة: ٥٤.

المعنى العام: نداء من الله تعالى إلى الذين أقروا بالإيمان بأن من يرتد منهم عن دينه فسوف يأتي الله -عز وجل- بقوم غيرهم من صفاتهم أنهم يحبون الله وهو يحبهم، فيهم رفق ولين لا هوان للمؤمنين، وغلظة وشدة على الكافرين، يجاهدون في سبيل إعلاء كلمة الله، وهذا من فضل الله الواسع عليهم.

النظم: جملة (يا أيها الذين آمنوا)... الآية معترضة بين ما قبلها وبين جملة إنما (وليكم الله) دعت لاعتراضها مناسبة الإنذار في قوله: ومن يتولهم منكم فإنه منهم[1].

(من يرتد منكم عن دينه) مَنْ: شرطية، وجوابها جملة: (فسوف يأتي الله بقوم) وهذه الآية من الأمور التي أخبر الله تعالى عنها قبل وقوعها فقد ارتدَّ من العرب في أواخر عهد رسول الله -ﷺ- ثلاث فرق: بنو مدلج وبنو حنيفة، وبنو أسد، وفي عهد سيدنا أبي بكر الصديق ارتدّ سبع فرق: فزارة وغطفان وبنو يربوع وبعض تميم وكندة وبنو بكر بن وائل.

(١) التحرير والتنوير: ج٦/ص٢٣٤.

(فسوف يأتي الله) أي الذي له الغنى المطلق، والعظمة البالغة مكانهم بعد إهلاكهم وإن طال المدى بوعد صادق لا خلف فيه. (بقوم) يكون حالهم ضدّ حالهم وهم أبو بكر والتابعون له بإحسان -رضي الله عنهم- وقيل هم اليمن لما روي أنه عليه الصلاة والسلام أشار إلى أبي موسى الأشعري وقال: (هم قوم هذا)، وقيل الفرس لأنه عليه الصلاة و السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال: هذا وذووه، وقيل: الذين جاهدوا يوم القادسية.

(يحبهم) صيغة المضارع توحي بالتجدد والحدوث والاستمرار حالاً بعد حال، ومحبة الله تعالى للعباد إرادة الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الآخرة، وهذه الجملة صفة لقوم في محل جر فالمحبة من الله لهم تتجدد وهذا هو سر التعبير بالمضارع.

(ويحبونه) صيغة المضارع توحي أيضاً بالتجدد والحدوث ومعناها: إرادة طاعته والتحرز عن معاصيه، وهذه الجملة صفة أخرى لقوم في محل جر، وهذه المحبة تتجدد أيضاً؛ لذا عبر عنها بالمضارع وقدمت هاتان الصفتان على غيرهما لشرفهما.

(أذلة على المؤمنين) عاطفين عليهم متذللين صفة ثالثة لقوم. وأذلة: جمع ذليل لا ذلول فإن جمعه ذلل "واستعماله مع على إمّا لتضمنه معنى العطف والحنو أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خاضعون لهم أو للمقابلة مع قوله تعالى: (أعزة على الكافرين)"[1]. وقال الشيخ زاده "أو للمشاكلة، فإنه لَمَّا وقع في صحبة أعزة عدّى تعديته وهي تستعمل لـ(على) دون اللام"[2]. والجمع بين الأمرين: المقابلة والمشاكلة أولى؛ لأنّ النكات البلاغية

(١) البيضاوي: ج٣/ ص٤٩٧
(٢) زاده ج٣/ ص٥٤١.

تتعاون وتتآزر ولا تتعارض، فالمقابلة: وهي أن يأتي المتكلم بلفظين متوافقين فأكثر، ثم بأضدادها أو غيرهما على الترتيب[١]. فالمعنيان المتوافقان (أذلّة- المؤمنين) وما يقابلهما (أعزة- الكافرين)، وبلاغة هذه المقابلة يكمن فيما هو مركوز في الطباع من مقارنة الأضداد وموازنة بين المتقابلات، فالضد أقرب خطوراً بالبال عند ذكر ضده، فيحدث ترابط بين الكلام عن طريق علاقة التضاد، أمّا المشاكلة: فهي ذكر بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً[٢]. فأصل التعبير (أذلة للمؤمنين) قلبت اللام (على) لوقوعها في صحبة (على الكافرين).

(أعزة على الكافرين) صفة رابعة لقوم أي شداد متغلبين عليهم من عزَّة إذا غلبه وكان التعبير عن هاتين الصفتين بالاسم الذي فيه المبالغة لأنّ أذلة جمع ذليل وأعزة جمع عزيز وهما صفتا مبالغة والصفات لا تتجدد فناسبها الاسم للدلالة على الثبوت على خلاف الصفة الأولى والثانية فإنهما يتجددان فناسبهما الفعل المضارع وتأخرت هاتان الصفتان الثالثة والرابعة (أذلة على المؤمنين وأعزة على الكافرين) لما قدمناه من مزيد شرف الأولى والثانية لكونهما بين العبد وربه على الثالثة والرابعة لكونهما بين العباد. كما تقدم الوصف المتعلق بالمؤمنين على الوصف المتعلق بالكافرين لشرف المؤمنين على الكافرين.

(يجاهدون) أي يوقعون الجهاد على الاستمرار لمن يستحقه من غير ملال. ولا تكلف كالمنافقين، وحذف المفعول هنا لإفادة العموم، أي أن جهادهم عام لكل من كفر بالله ورسوله، وجملة (يجاهدون) في محل نصب حال لقوم بعد وصفها أو حال من الضمير في أعزة أو

(١) فن البديع، د. عبد القادر حسين، ص: ٤٨، ط. دار الشروق.
(٢) دراسات منهجية في علم البديع- الشحات أبوستيت، ص: ١٤١.

صفة لقوم (ولا يخافون لومة لائم) هذا فصل للمؤمنين الصادقين عن المنافقين؛ لأنّ المنافقين يخرجون للجهاد لكن المؤمنين لا يروِّعهم قول قائل ولا اعتراض معترض، وهذه الجملة معطوفة على جملة (يجاهدون) أي أن هؤلاء يجمعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه.

(ذلك) لما كانت هذه الأوصاف من العلو في رتب المدح بمكان لا يلحق قال مشيراً إليها بأداة البعد واسم المذكر (ذلك) أي الذي تقدم من أوصافهم العالية وهي المحبة والذلة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة الواحدة، فالسر البلاغي من وراء التعريف باسم الإشارة: هو التنبيه على أن المشار إليه المعقب بأوصاف جدير من أجل تلك الأوصاف بما يذكر بعد اسم الإشارة فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، (والله وسع عليم) كثير الفضل عليم بمن هو أهله.

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) دون السين خاصة هنا أن مجيء هؤلاء الذين آمنوا إيماناً صادقاً كان بعد أن ارتدّ هؤلاء بزمن مستقبلي منقطع عن الحال، فردة المرتدين كانت في أواخر عهد النبي -ﷺ- وفي أوائل عهد سيدنا أبي بكر الصديق، بينما من استبدلهم الله بهم أتوا في آخر عهد سيدنا أبي بكر الصديق وفي عهد الفاروق عمر بن الخطاب، واستكملت الفتوحات في عهد سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا علي بن أبي طالب- رضي الله عنهم وعن صحابة النبي -ﷺ- فزمن المستقبل هنا أوسع من أن تدلّ السين عليه. كما أنه منقطع ومنفصل تماماً عن الحال فيوم أن ارتدّ المرتدون حدث ارتباك في شبه الجزيرة العربية كلها، فمن لم يدخل الإسلام من أراد أن يدخل وتوقف حتى ينظر علام يستقرّ الأمر؟ كما أن استعمال (سوف) توحي بأن الله -تعالى- ناصر دينه لا محالة بهؤلاء أو بغيرهم ممن اصطفاهم الله

وأعدَّهم لنصرة دينه، وهذا الوعد من الله على جهة التأكيد والتثبيت والتحقيق، فهو كائن لا محالة، وقد تحقق فعلاً فهو من المعجزات، فقد دخل الناس في دين الله أفواجاً.

٥- قال تعالى: ژ ژ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ الأنعام: ٥.

المعنى العام: لما كان إعراضهم عن النظر في الآية السابقة سبباً لتكذيبهم الحق توعدهم الله بأن سيظهر لهم ما كانوا يستهزؤون به عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة أو عند ظهور الإسلام وارتفاع أمره.

النظم: (فقد كذبوا) الفاء واقعة في جواب شرط مقدر؛ لأنها واقعة في جواب لكلام متقدم محذوف تقديره: إن كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا؛ فكأنَّ الله يحكي لغيرهم ليعتبر. (قد) للتحقيق والتأكيد وصيغة الماضي في كذبوا لحكاية الحال الماضية (بالحق) أي القرآن، وهو كاللازم لما قبله كأنه قيل إن كانوا معرضين عن الآيات كلّها كذبوا به لما جاءهم أو كالدليل عليه إذ إنهم أعرضوا عنه وهو أعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره؟. قال الشهاب فيه وجهان: أحدهما أن الفاء سببية، ما بعدها مسبب عما قبلها، والثاني: أن هنا شرطاً مقدراً تقديره: إن كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بالحق لما جاءهم[١].

(فسوف يأتيهم) أي بوعد صادق لا خلف فيه عند نزول العذاب بهم وإن تأخر إتيانه. قال الرازي: "المراد منه الوعيد والزجر عن ذلك الاستهزاء ، فيجب أن يكون المراد بالأنباء لا نفس الأنباء بل العذاب الذي أنبأ الله تعالى به[٢]"؛ لأنّ النبأ: الخبر العظيم الذي يكون معه

(١) حاشية الشهاب ج٤/ص٢٩ .
(٢) التفسير الكبير: ج١٢/ص١٣١.

الجزاء. "وهذا يدلّ أنّهم وقع منهم الاستهزاء، فيكون في الكلام معطوف محذوف دل عليه آخر الآية وتقديره: واستهزؤوا فسوف يأتيهم، وهذه رتب ثلاث صدرت من هؤلاء الكفار، الإعراض عن تأمل الدلائل، والتكذيب، والاستهزاء[١]. (ما كانوا) ما موصولة بمعنى الذي أي الذي كانوا (به يستهزؤون) أي يجددون الهزء به بغاية الرغبة في طلبه وهو أبعد شيء عن الهزء، ويصحّ أن تكون (ما) مصدرية أي كونهم مستهزئين.

وفائدة تقديم (به) أفاد أنهم لم يكونوا يهزؤن بغير الحق الكامل، والضمير عائد على (ما) الموصولة إما على اعتبار كون (ما) مصدرية فالضمير في (به) عائد على الحق لكونها حرف. ومناسبة الآية لما بعدها أنه تعالى لما أخبر بتكذيبهم على هذا الوجه وتوعدهم بتحتم تعذيبهم أتبعه ما يجري مجرى الموعظة والنصيحة فعجب من تماديهم مع ما علموا.

وعقد أبو حيان موازنة بين هذه الآية وبين قوله تعالى: فقد كذبوا فسيأتيهم) الشعراء: ٦، فيقول: " جاء هنا تقييد الكذب بالحق والتنفيس بـ(سَوْفَ)، وفي الشعراء: (فقد كذبوا فسيأتيهم)؛ لأن الأنعام متقدمة في النزول على الشعراء ، فاستوفى فيها اللفظ، وحذف من الشعراء وهو مراداً حاله على الأول، وناسب الحذف الاختصار في حرف التنفيس، فجاء بالسين"[٢]. ونحو ذلك ذكر الألوسي في روح المعاني[٣].

السر في مجيء (سوف):

(١) البحر المحيط: ج٤/ص١٠٠.
(٢) البحر المحيط: ج٤/ص١٠٠.
(٣) روح المعاني: ج٤/ص٨٩.

من خلال تتبع النظم في هذه الآية نرى أن السر في مجيء (سوف) هنا أن هذا وعيد لهم بالعذاب يوم القيامة، فليس المراد بالأنباء مجرد الإخبار في الدنيا وإنما المراد هو وقوع العذاب بهم يوم القيامة، وهذا مستقبل بعيد منقطع عن الحال، و(سوف) هنا هي البديل الأوفق لأداء المعنى فلا يصحّ غيرها في مكانها. كما أنّ الله -تعالى- أراد أن يؤكد لهم هذا الوعيد وذلك التهديد حتى ينزجروا وهذا التأكيد لا يتحقق إلا في (سوف) كما أجمع المفسرون على ذلك، وهناك سرٌّ آخر ذكره أبو حيان في الموازنة التي عقدها بين هذه الآية وآية الشعراء (فقد كذبوا فسيأتيهم) وهو أنه لما حذف كلمة (الحق) ناسب ذلك السين لأنها حرف واحد فكان الحذف متناسباً مع التنفيس لأنه في السين أقلّ، ولما ذكر (الحق) هنا ناسبه (سوف) الأكثر حروفاً والتنفيس معها بطبيعة الحال أوسع كما قال العلماء فكثرة الحروف تدل على كثرة المعنى، وهناك سر آخر تنبه إليه أبو حيان وهو تقدم سورة الأنعام في النزول على سورة الشعراء فاستوفى الله -تعالى- فيها اللفظ.

٦- قال تعالى: ژ □ □ □□ □ □ □ ژ الأنعام: ٦٧.

المعنى العام: **هذه الآية تهديد للكفار ووعيد لهم.**

النظم: **(لكل نبأ) فيه إشارة إلى جلالة خبره، فالنبأ بمعنى المنبأ به أو بمعنى المصدر أي الأنباء. (مستقرّ) موضع، أو وقت استقرار ووقوع، وهو المناسب لما بعده لذا اختاره البيضاوي، وذهب الشيخ زاده إلى أنه يجوز أن يكون (مستقرّ) مصدراً ولا مانع من حمل اللفظ على واحد من الثلاثة: ظرف الزمان والمكان والمصدر، لصحة أن يقال: لكل ما أخبر الله به استقرار لا محالة أو لكل ما أخبر به وقت استقرار أو مكان استقرار كذلك. (وسوف تعلمون) محط خبره العظيم بوعد صادق، لا خلف فيه وإن كان تأخر وقوعه، قال أبو حيان: (وسوف تعلمون)**

مبالغة في التهديد والوعيد فيجوز أن يكون تهديداً بعذاب الآخرة ، ويجوز أن يكون تهديداً بالحرب وأخذهم بالإيمان على سبيل القهر والاستيلاء"(١).

السر في مجيء (سوف):

لعل السر هنا في إيثار (سوف) على غيرها من الحروف التي تخلص المضارع للاستقبال هو أننا إذا نظرنا لسياق الآيات التي وردت فيها هذه الآية علمنا أن هذه الآيات مكية نزلت بمكة والمسلمون مستضعفون ولم يكن قد أذن لهم بعد في قتال المشركين، فالآية التي قبل هذه الآية: ژ ې ې ې □ □□ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ ژ الأنعام: ٦٦ – ٦٧. فإذا كان المراد من الآية تهديد ووعيد هؤلاء بالحرب وأخذهم بالإيمان على سبيل القهر والاستيلاء فهذا أمر يتحقق في الدنيا لكنه في الزمن المستقبل البعيد المنقطع عن الحال فناسب ذلك (سوف) لامتداد زمن المستقبل معها، وإذا كان المراد: تهديدهم ووعيدهم بعذاب شديد في الآخرة فـ(سوف) مناسبة أيضاً لما سبق أن ذكرناه، كما أن المراد من الآية الوعيد والتهديد لهم، وأكثر مجيء (سوف) للوعيد والتهديد.

كما أن الله –تعالى– أراد أن يؤكد هذا الوعيد وذاك التهديد فأتى بـ(سوف) التي تستعمل لذلك عند معظم المفسرين.

٧– قال تعالى: ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ژ الأنعام:١٣٥.

المعنى العام: يأمر الله تعالى نبيه أن يقول لقومه ولمن لهم قيام في الأمور، وكفاية في المهمات: اعملوا بما تعلمونه الآن من مخالفتي بغاية ما لكم من القوة وإني كذلك أعمل فيما جئت به.

(١) تفسير البحر المحيط: ج٤/ ١٩٨.

النظم: (يا قوم) القوم يفيد مزيد القوة كأنه في الأصل يتقوى بهم، وهذا ما ينبغي أن يكون في قوم الرجل. (اعملوا) الأمر فيه للتهديد، والمعنى: اثبتوا على كفركم وعداوتكم. (على مكانتكم) على أفادت الاستعلاء أي على ما لكم من القدرة على العمل والمكانة قبل أن تأتي الدواهي وتسبقكم القواصم بخفوق الأجل، والتهديد بصيغة الأمر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعاً عليه فيحمله بالأمر على ما يفضي به إليه وتسجيل بأن المهدد لا يتأتى منه إلا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر أن يتقصى عنه[1]. (إني عامل) جملة مؤكدة تدل على أن أدل شيء على النصيحة مبادرة الناصح إلى مباشرة ما نصح به ودعا إليه، والمعنى: اثبتو على كفركم وعداوتكم لي فإني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم. (فسوف تعلمون) يقول البقاعي: "ولما كان وقوع المتوعد به سبباً للعلم بالعاقبة ، لعدم تذكرهم وغرورهم وقلة فطنتهم ، حسن إثبات الفاء دون إسقاطها؛ لأن الاستئناف يتعطف للسؤال فقال: (فسوف تعلمون) أي يقع لكم بوعد لا خلف فيه العلم، فكأنه قيل : أيّ علم ؟ فقيل : (من تكون له) كوناً كأنه جبل عليه (عاقبة الدار) [2].

و(مَنْ) في قوله: (من تكون له عاقبة الدار) إن جعلت استفهامية بمعنى أين تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار؟ فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه، وإن جعلت خبرية فالنصب بتعلمون أي سوف تعرفون الذي تكون له عاقبة الدار وفيه مع الإنذار إنصاف في المقال وحسن الأدب وتنبيه على وثوق المنذر بأنّه محق"[3].

(١) حاشية الشهاب ج٤/ص٢٠٧.
(٢) نظم الدرر: ج٧/ص٢٧٧، ٢٧٨.
(٣) حاشية الشهاب ج٤/ص٢٠٧.

ولما كان التقدير جواباً لما تقرر من سؤالهم: عاقبة الدار للعامل العدل ، استأنف قوله : (إنه لا يفلح الظالمون) أي العريقون في الظلم كائنين من كانوا ، فلا يكون لهم عاقبة الدار، أي فصلت جملة: (إنه لا يفلح الظالمون) عن الجملة التي قبلها لما بينهما من شبه كمال الاتصال، فبينهما رابط معنوي كالرابط الذي يكون بين السؤال والجواب، والآية من الاحتباك[1]: ذكرُ العاقبة أولاً دليل على حذفها ثانياً، وذكر الظلم ثانياً دليل على حذف العدل أولاً[2].

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) هو أن العلم الحقيقي بمن يكرم ويكون له عاقبة الدار إنما يكون ذلك في الآخرة فحدث الفعل (العلم) ممتدّ في الزمن المستقبل غير المتصل بالحال، كما أن الله يريد أن يؤكد لهم ذلك.

٨- قال تعالى: ژ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ الأعراف: ١٢٣.

المعنى العام: **تحكي الآية ما كان من قول فرعون لمن آمن بموسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتمّ السلام.**

---

(١) الاحتباك من الحبك: الشدّ والإحكام، وكل شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد احتبكته. والاحتباك أحد أقسام الحذف، وقد سماه الزركشي "الحذف المقابلي"، وعرَّفه بقوله: " هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه.
وذكره السيوطي باسم (الاحتباك) وقال: "وهو من ألطف الأنواع وأبدعها وقلَّ من تنبَّه له أو نبه عليه من أهل البلاغة...، وأفرده بالتصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين البقاعي. (المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ص: ٣٤).
(٢) نظم الدرر: ج٧/ص٢٧٧، ٢٧٨.

النظم: (أأمنتم) الاستفهام خرج إلى الإنكار التوبيخي بمعنى أنه لا ينبغي ذلك، أو الاستبعاد أو الإخبار على قراءة حفص، قال الشيخ زاده: إن أصل هذه الكلمة أأأمنتم بثلاث همزات الأولى للاستفهام، والثانية همزة أفعل، والثالثة فاء الكلمة، فالهمزة الثالثة يجب قلبها ألفاً والأولى محققة بلا خلاف، ولا خلاف إلا في الثانية، وقرأ حفص (ءأمنتم) بهمزة واحدة بعد الألف المبدلة من فاء الكلمة، وهذه تحتمل الخبر المحض المتضمن للتوبيخ وتحتمل الاستفهام الإنكاري، ولكنه حذف أداة الاستفهام لدلالة السياق عليه"[١].

وقال الشهاب: قرأ القرَّاء آمنتم بحرف الاستفهام إلا حفصاً فإنه قرأها على الإخبار وفيها أيضاً معنى التوبيخ كما في الاستفهام لأن الخبر إذا لم يقصد به فائدته ولا لازمها تولد منه بحسب المقام ما يناسبه هنا لما خاطبهم بما فعلوه مخبراً لهم بذلك أفاد التوبيخ والتقريع[٢].

(إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة) لما خاف فرعون أن يكون إيمان السحرة حجة قومه ألقى في الحال نوعين من الشبه: أحدها: أنّ هذا تواطؤ منهم لا أنّ ما جاء به حق. والثاني: أنَّ ذلك طلب منهم للملك"[٣]. وهذا الكلام من فرعون تمويهاً على الناس لئلا يتبعوا في الإيمان.

(فسوف تعلمون) شروع في تهديدهم بما يمنع غيرهم وربما ردهم، فقال مسبباً عن ذلك فسوف تعلمون أي بوعد لا خلف فيه ما أفعل بكم من عذاب لا يحتمل ثم فسره بما يأتي بعده من قوله:

(١) حاشية زاده: ج٤/ص٢٧٥.
(٢) حاشية الشهاب: ج٤/ص٣٤٧.
(٣) البحر المحيط: ج٤/ص٣٦٤.

(لأقطعنّ)[1]. فهذا التهديد مجمل يفصله ما يأتي بعده في قوله تعالى: (لأقطعن أيديكم) ومفعول (تعلمون) محذوف والتقدير: ما يحل بكم للعموم.

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في إيثار (سوف) أن تهديد فرعون يتحقق العلم به حينما يقع تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، وهذا وإن كان المستقبل فيه قريباً إلا أنه منقطع عن الحال فنظم الآية يدلّ على أن هناك وقتاً ممتدّاً في المستقبل إذ يلزم ذلك: الأمر بالإمساك بهم ثم سجنهم ثم الحكم عليهم ثم إنزال العقوبة بهم، ولذا أجمل فرعون التهديد والوعيد في قوله: (فسوف تعلمون) ثم فصَّله بعد ذلك في قوله:(لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين)كما أن إيثار (سوف) هنا لرغبة فرعون في تأكيد تهديده ووعيده لهم لعلهم يرتدعون ويرجعون عن الإيمان بموسى.

٩- قال تعالى: ژ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ هود: ٣٨ ، ٣٩ .

المعنى العام: يحكي الله -عز وجل- ما كان من أمر نوح وصناعته للسفينة وسخرية قومه منه وتهديده لهم وتوعده إياهم.

النظم: (ويصنع الفلك) على حكاية الحال الماضية أي ذلك الوقت كان يصدق عليه أنه يصنع الفلك، ويجوز أن هناك فعلاً محذوفاً قبل هذا الفعل فيكون التقدير: وأقبل يصنع الفلك فاقتصر على الفعل المذكور (يصنع).

(١) نظم الدرر: ج٨/ص٣١.

(وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) ملأ: أي جماعة أو طبقة من أشرافهم، والعامل فيه: الفعل سخروا، والجملة في محل نصب على الحال أي يصنع الفلك.

واختلف المفسرون فيما لأجله كانوا يسخرون فقيل: إنّهم كانوا يقولون: يا نوح كنت تدعي الرسالة فصرت بعد ذلك نجاراً. أو أنهم كانوا يقولون له : لو كنت صادقاً في دعواك لكان إلهك يغنيك عن هذا العمل الشاق.

(إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون) أي إن تسخروا منا في هذه الساعة فإنا نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والخزي في الآخرة.

وفي الآية مشاكلة مثل قوله تعالى: ژ ھ ھ ے ۓ ژ الشورى: ٤٠، فقد أطلق (نسخر منكم) لوقوعه في صحبة (سخروا منه) "ولما كان قوله (نسخر منكم) واقعاً موقع هذا الإخبار، حسن الإتيان بالفاء المؤذنة بتسبب العلم المذكور عنه في قوله: (فسوف تعلمون) أي بوعد لا خلف فيه"[1] من هو أحق بالسخرية ومن هو أحمد عاقبة.

(من يأتيه) (مَنْ) في محل نصب مفعول به للفعل (تعلمون) أي: فسوف تعلمون أينا يأتيه عذاب، وتكون (مَنْ) على هذا في محل رفع مبتدأ (ويحل عليه) مثل حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه.

(عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة وهنا لم يذكر الله -تعالى- عاقبة شعيب -عليه السلام- استغناءً بذكر عاقبتهم، فاكتفى بذلك عن أن

(١) نظم الدرر: ج٩/ص٢٨٤.

يقول : ومن هو على خلاف ذلك ، ونظير هذه الآية في الاكتفاء[1] بذكر إحدى العاقبتين لدلالة الآخر عليه قوله تعالى: ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ژ [الأنعام: ١٣٥] حيث ذكر إحدى العاقبتين؛ لأن المراد بتلك العاقبة عاقبة الخير لأنها متى أطلقت لا يعنى إلا ذلك نحو ژ ﯓ ﯔ ﯕ ژ [الأعراف : ١٢٨] ولأن اللام في (لَهُ) يدل على أنها ليست عليه ، واستغنى عن ذكر مقابلها[2].

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) أنّ العلم المتوعد به حاصل لا محالة وقت لحوق الخزي بهم وقت الغرق في الدنيا والعذاب يوم القيامة وكلا الأمرين ممتدّ في الزمن المستقبل الواسع فناسب ذلك (سوف) كما أنّ التأكيد أي تأكيد هذا الوعيد وذاك التهديد مطلوب جدّاً خاصة وأن هؤلاء القوم لم يعهدوا ذلك في دنياهم من قبل، فقد ذكر المفسرون أن نوح –عليه السلام– كان يصنع تلك السفينة في الصحراء ولم يكن هناك ثمَّ بحر قريب كما ذكر المفسرون أيضاً أن قوم نوح لم يركبوا البحر من قبل ولم يعرفوا عنه شيئاً، كل ذلك مدعاة

---

(١) الاكتفاء من كفى واكتفى: اضطلع، وكفاه الأمر: إذا قام فيه مقامه. ذكر الرماني في باب الإيجاز أنه على ضربين: مطابق لفظه لمعناه لا يزيد عليه ولا ينقص عنه مثل : سل أهل القرية ، = =ومنه ما حذف للاستغناء عنه في ذلك الموضع كقوله تعالى: (واسأل القرية) ثم فصل هذا التعريف فقال: إن الضرب الأول يسمي المساواة، والضرب الثاني يسمى الاكتفاء وهو داخل في باب المجاز وهم يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي عليه، وقد سمَّى الرماني هذا النوع الإيجاز بالحذف. (المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، د. إنعام فوَّال عكَّاوي، ص٢٠٢، ٢٠٣، ط. دار الكتب العلمية).

(٢) روح المعاني- الألوسي: ج١٢/ص٣٢٢.

للشك والتردد فأتى بـ(سوف) حتى يزيل من قلوبهم هذا الشك والتردد بالتأكيد الذي تفيده (سوف).

١٠ – قال تعالى: ژ گ گ گ گ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ژ هود: ٩٣.

المعنى العام: لما ختم الله الآية السابقة بتهديدهم بما بيَّن أن تهديدهم لشعيب عليه السلام عدم لا يبالي به أتبعه ما يصدقه من أنه ليس بتارك شيئاً من عمله لشيء مما جبلوا به، وزاد في التهديد بهذه الآية.

النظم: (اعملوا) الأمر هنا خرج عن معناه إلى التهديد. (على مكانتكم) لا تخلو المكانة من أن تكون بمعنى المكان، يقال: مكان ومكانة، ومقام ومقامة، أو تكون مصدراً من مكن مكانة فهو مكين، والمعنى: اعملوا قارّين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لي. أو اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها"[١].

(إني عامل) على حسب ما يؤتيني الله من النصرة. (سوف تعلمون) " لما كانت ملازمتهم لأعمالهم سبباً لوقوع العذاب المتوعد به ووقوعه سبباً للعلم بمن يخزي لمن يعلم أي هذين الأمرين يراد ، ذكره بعد هذا التهديد فحسن حذف الفاء من قوله : (سوف تعلمون) أي بوعد لا خلف فيه وإن تأخر زمانه"[٢].

قال البيضاوي: سبق مثله في سورة الأنعام يقصد قوله تعالى: (فسوف تعلمون)، والفاء في (فسوف تعلمون) ثمة للتصريح بأن الإصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا؛ لأنه جواب سائل قال: فماذا يكون بعد ذلك؟ فهو أبلغ في التهويل". ثم جاء

(١) الكشاف: ج٢/ص٩١.
(٢) نظم الدرر: ج٩/ص٣٦٥.

الشهاب ووضح هذا الفرق بين حذف الفاء وإثباتها في الآيتين فقال: ذكرت الفاء في سورة الأنعام لأن قوله (فسوف تعلمون) وعيد بالعذاب، وهو ناشئ ومتفرع على إصرارهم على ما هم عليه والتمكن منه –عليه الصلاة والسلام– أو منهم في ذلك، فلذا ذكر معه الفاء الدالة على ذلك صريحاً، وحذف الفاء ههنا أي في سورة هود؛ لأنه جواب سؤال مقدَّر يدل على ما دلت عليه الفاء مع الاختصار لفظاً وتكثير المعنى مع قلة اللفظ والاستئناف يقصد إليه البلغاء لجهات لطيفة ومحاسن عديدة كما ذكره السكاكي رحمه الله[1]. أي أن الفصل بين الجملتين لشبه كمال الاتصال فقد صلحت الجملة الثانية أن تكون جواباً لسؤال مقدر تضمنته الجملة الأولى فأية الأنعام بها وصل ظاهر لوجود الفاء وآية هود التي معنا بها وصل تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر، وهذا "للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه"[2].

(من يأتيه عذاب يخزيه) (مَنْ) هنا يجوز أن تكون استفهامية في موضع رفع على الابتداء كأنَّه قيل: سوف تعلمون أيَّنا يأتيه عذاب يخزيه، وأيَّنا هو كاذب، ويجوز أن تكون موصولة بمعنى (الذي) فتكون حينئذ مفعولاً به للفعل (تعلمون) ويكون المعنى سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب.

(ومن هو كاذب) معطوف على (من يأتيه) متضمن ذكر جرمهم الذي يجازون به وهو الكذب وهو من عطف الصفة على الصفة

(١) حاشية الشهاب: ج٥/ص٢٢٣. ومفتاح العلوم ، أبو يعقوب السكاكي، علق عليه نعيم زرزور ص٢٥٣، ط/دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
(٢) الكشاف: ج٢/ص٣١٣.

والموصوف واحد كما تقول لمن تهدده: ستعلم من تهان ومن يعاقب وأنت تعني المخاطب في الكلامين فيكون في ذكر كذبهم تعريض بصدقه.

(وارتقبوا إني مكم رقيب) أي انتظروا العاقبة وما أقول لكم، والرقيب بمعنى الراقب؛ لأنه على وزن فعيل بمعنى فاعل.

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) أن الآية تتحدث عن وعيد وتهديد لقوم شعيب حاصل لهم لا محالة في الآخرة فاستعملت (سوف) التي تفيد الاستقبال الواسع الممتدّ كما أنّ أكثر استعمالاتها في مقام التهديد والوعيد، كما أنها تفيد تأكيد هذا الوعيد وذاك التهديد لأنهم –كما هو ظاهر من حالهم– كانوا يشكون في لحوق العذاب بهم، فالتأكيد الذي تفيده (سوف) مناسب لذلك.

١١– قال تعالى: ژ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ژ الحجر: ٢–٣.

المعنى العام: **يحكي الله –تعالى– أمنية للكفار بأن كانوا في وقت ما مسلمين.**

النظم: **(رب) تفيد عند العلماء التقليل، وقال بعضهم: إنها قد ترد للتكثير، قال البقاعي: "إن قال قائل : فلم جازت في قوله (ربما يود الذين كفروا) و رب للتقليل؟ فالجواب: أن العرب خوطبت بما تعلمه في التهدد، والرجل يتهدد الرجل فيقول : لعلك ستندم على ما صنعت، وهو يعلم أن الإنسان يندم كثيراً"[1]. ومما يدلّ على أنها في مقام التهدد قوله تعالى: (ذرهم يأكلوا). (ما) في (رب) مهيئة، وذلك أنها من حيث**

(١) نظم الدرر: ج١١/ص١٣.

هي حرف جرّ – على خلاف فيه– لا يليها إلا الأسماء فجيء بها مهيئة لمجيء الفعل بعدها وعلى كثرة مجيء (ربّ) في كلام العرب لم تجئ في القرآن إلا في هذا الموضع. (ربما يود) صيغة المضارعة في (يود) توحي أنَّ ودهم للإسلام يكون كثيراً جداً متكرراً ومتجدداً حالاً بعد حال،، وإيلاء المضارع لربما – وإنما يليها في الأغلب الماضي – معلم بأنه مقطوع به كما يقطع بالماضي الذي تحقق ووقع[1]، أو لأنّ (ما) إذا لحقتها سوغت دخولها على المستقبل، والودّ: التمني، وكان التعبير به بدل التمني؛ لأن فيه اشتراكاً بين التمني والحبّ[2]. وهذه الودادة يوم القيامة عند رؤيتهم خروج العصاة من النار.

(لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم وإنما جيء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم. و(لو) للتمني، وجملة (لو كانوا مسلمين) في موقع الحال أي قائلين: لو كانوا مسلمين. وقوله: (ذرهم) الأمر هنا ليس أمر تكليف بل هو على طريق التهديد والوعيد والإبلاغ في الوعيد والتأكيد عليه، والمعنى: اقطع طمعك في ارعوائهم وخلِّهم. (يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل) صيغة المضارع أوحت بتجدد الحدث حالاً بعد حال، فهذا ليس إذناً لهم وتجويزاً بل هذا تهديد ووعيد لهم.

(فسوف يعلمون) لما كان الأكل والتمتع والهاء العمل لا يشتغل به إلا أحمق سبب عنه التهديد بقوله: (فسوف يعلمون) أي ما يحلّ بهم بعد ما فسحنا لهم زمن التمتع، فتأخير العذاب ليس مبنيّاً على الإهمال، بل هو إمهالهم ليبلغوا الأجل المقدر لهم. والمفعول به في قوله: (يعلمون) محذوف تقديره: فسوف يعلمون عاقبة أمرهم وما يؤولون إليه في الدنيا من الذل والقتل والسبي، وفي الآخرة من العذاب.

(١) نظم الدرر: ج١١/ص١١.
(٢) نظم الدرر: ج١١/ص١١.

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) أنها حرف تنفيس وتراخ واستقبال وعلمهم بما يحل بهم لا يتحقق في الحال إنما هو في المستقبل المنقطع الصلة بالحال في الدنيا من الذلة التي تلحق بهم أو من القتل والسبي في المعارك أو أنّ ما يلحق بهم إنما هو في المستقبل البعيد الذي لا يعلم متى يقع إلا الله سبحانه. كما أنّ السياق كلّه يفوح بالتهديد والوعيد لهؤلاء تأمل الأمر في قوله تعالى: (ذرهم) بل تأمل الأفعال المضارع التي توحي برائحة التهديد والوعيد أيضاً في قوله: (يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل) ثم جاءت (سوف) لتأكيد هذا الوعيد وذاك التهديد والمبالغة فيهما فكانت مناسبة للسياق والمقام كما كانت أيضاً ملائمة لمعاني أخواتها ومؤانسة لجاراتها في النظم.

١٢ – قال تعالى: ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ژ الحجر: ٩٦.

المعنى العام: يخبر الله –عز وجل– رسولَه أنه كفاه شر الذين هم عريقون في الاستهزاء به، ثم وصفهم في هذه الآية بأنهم على ما رأوا من آياته الدالة على جلاله وعظيم إحاطته وكماله جعلوا معه إلهاً آخر.

النظم: (الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر) أي اتخذوا إلها يعبدونه معه –تعالى الله عن الند والشريك– وكان التعبير بالمضارع في (يجعلون) لاستحضار الحال الماضية، (والذين) في موضع صفة لـ(المستهزئين) في الآية السابقة وجملة (يجعلون) وما بعده صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، وفي وصفهم بذلك تسلية لرسول الله –ﷺ– وتهوين للخطب عليه –عليه الصلاة والسلام– بالإشارة إلى

أنهم لم يقتصروا على الاستهزاء به -ﷺ- بل اجترؤوا على العظيمة التي هي الإشراك به -سبحانه-"[1].

(فسوف يعلمون) أي يحيط علمهم بشدة بطشنا وقدرتنا على ما نريد، ليكون وازعاً لغيرهم، أو يعلم المستهزؤون ، وغيرهم عاقبة أمورهم في الدارين، قال أبو حيان: "فهذا وعيد لهم بالمجازاة على استهزائهم وجعلهم إلهاً مع الله في الآخرة. كما جوزوا في الدنيا"[2].

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) أن الآية تتحدث عن مجازاة هؤلاء المشركين بالله في الدنيا والآخرة، ولا شك أنّ جزاءهم في الدنيا لم يكن في الحال بل كان معه إمهال من الله تعالى لعلهم يتوبون فيغفر الله لهم، فكانت (سوف) مناسبة تماماً لأداء هذا المعنى؛ لأنها حرف تنفيس وتراخ واستقبال، أمّا مجازاتهم في الآخرة ففي المستقبل البعيد فهي أكثر ملاءمة.

كما أنّ المقام تهديد ووعيد لهؤلاء الذين أشركوا بالله واستهزؤوا برسوله -ﷺ- وأكثر استعمالاتها لهذا الغرض، بل كما ذهب جمهور المفسرين إلى أنها تأتي لتأكيد الوعيد والتهديد.

١٣- قال تعالى: ژ ٱ ب بٻ بپ پ پ پ ڀ ڀ ژ النحل: ٥٥.

المعنى العام: يخاطب الله -عز وجل- جماعة من أهل الشرك والضلال الذين يوقعون التغطية لأدلة التوحيد التي دلتهم عليها غرائز عقولهم وهذا على سبيل التهديد لهم.

النظم: (ليكفروا بما آتيناهم) إن كانت اللام للأمر فمعناه: التهديد والوعيد وإن كانت للتعليل فمعناها ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف

(١) روح المعاني: ج٧/ص٣٢٨.
(٢) البحر المحيط: ج٥/ص٤٥٥.

عنهم، كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة؛ لذا قال الرازي: "وفي هذه اللام وجهان: الأول: أنها لام كي والمعنى أنهم أشركوا بالله غيره في كشف ذلك الضر عنهم. وغرضهم من ذلك الإشراك: أن ينكروا كون ذلك الإنعام من الله تعالى. والقول الثاني: أن هذه اللام: لام العاقبة كقوله تعالى: ژ ج جـ جـ چ چ چ چ ژ (القصص ٨). يعني: أن عاقبة تلك التضرعات ما كانت إلا هذا الكفر"(١). فتحصل من ذلك أن هذه اللام إما أن تكون لام الأمر أو لام كي للتعليل أو لا العاقبة والصيرورة والمآل، وهذه اللام عند أكثر البصريين صنف من أصناف لام كي وهي عند الكوفيين ناصبة بنفسها(٢). (بما آتيناهم) فيه قولان: الأول: أنه عبارة عن كشف الضر وإزالة المكروه، والثاني: قال بعضهم: المراد به القرآن وما جاء به النبي -ﷺ- من النبوة(٣).

(فتمتعوا) الأمر هنا للتهديد، وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفاً على (ليكفروا) وعلى هذا جاز أن تكون اللام لام الأمر الوارد للتهديد، والفاء في قوله: فتمتعوا واقعة في جواب الأمر وما بعدها منصوب بإسقاط النون ويجوز جزمه بالعطف أيضاً كما جاز نصبه بالعطف إذا كانت اللام جارّة(٤). والتمتع هنا بالحياة الدنيا ومآلها إلى الزوال.

(فسوف) الفاء للسببية أي إنَّ تمتعكم على هذا الحال سبب لأن يقال لكم تهديداً: (سوف تعلمون) غب تمتعكم فهو إقبال الغضب والتهديد بسوء المنقلب ، وحذف المتهدد به أبلغ وأهول لذهاب النفس

(١) التفسير الكبير: ج٢٠/ص٤٣.
(٢) الجنى الداني: ص١٢١.
(٣) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٤) حاشية الشهاب: ج٥/ص٦٠٠.

في تعيينه كل مذهب[1]. فالله عز وجل أغلظ وعيده، فالمفعول به لم يذكر هنا إشعاراً بأنه لا يوصف.

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) هنا أنّ الآية تتحدث عن مجازاة هؤلاء الذين أشركوا مع الله غيره وغطوا دلائل وجوده -سبحانه- وهذه المجازاة لا تكون إلا في المستقبل البعيد فكان المناسب لذلك (سوف) لأنها أوسع في التنفيس من السين وأبلغ وأشدّ تراخياً منها في الزمن المستقبل.

كما أنّ (سوف) وإن كان أكثر استعمالها في الوعيد والتهديد فإنها أتت هنا لتأكيد هذا الوعيد وذلك التهديد وذلك إذا جعلنا اللام في قوله: (ليكفروا) لام الأمر الذي خرج عن معناه لإفادة التهديد والوعيد، ثم أتت بعدها (سوف) لتأكيده وهذا مناسب للمقام فهؤلاء قد صنعوا ما لا يغتفر (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).

١٤- قال تعالى: ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ژ الكهف: ٨٧.

المعنى العام: **لما خيَّر الله تعالى ذا القرنين بين تعذيب هؤلاء القوم، ودعائهم إلى الإسلام اختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم قال: أمَّا من دعوته فأبى إلا البقاء على الكفر فذلك هو المعذب في الدارين، وأما من آمن فله جزاء الحسنى.**

النظم: **(أما من ظلم) نفسه بالإقامة على الكفر، فالمفعول به محذوف لدلالة المقام عليه. وأمَّا حرف بسيط، فيه معنى الشرط، مؤول بـ(مهما يكن من شيء)؛ لأنه قام مقام أداة الشرط وفعل الشرط. ولذلك**

(١) نظم الدرر: ج١١/ص١٨٠.

يجاب بالفاء. وقال ابن مالك وغيره: (أمَّا) حرف تفصيل[١]. وذهب المالقي في رصف المباني إلى أنه لا يلزم تكريرها، خلافاً لبعضهم، فإنه يرى أن التفصيل لا يكون إلا بتكرار الفصل بينه وبين الأول، وهذا غير لازم. اللهم، إن كان في اللفظي فنعم، وأما المعنوي فلا يلزم"[٢].

(من ظلم) من: موصولة بمعنى الذي، وجملة (ظلم) صلة الموصول، والتعبير بالماضي لحكاية الحال الماضية. (فسوف نعذبه) بوعد لا خلف فيه بعد طول الدعاء والترفق وسرّ الإتيان بحرف التنفيس (سوف) لما يتخلل بين إظهاره كفره وبين تعذيبه من دعائه إلى الإيمان وتأبيه عنه، فهو لا يعاجلهم بالقتل على ظلمهم بل يدعوهم ويذكرهم فإن رجعوا وإلا فالقتل"[٣]. وأتى بالنون في قوله: (نعذبه) أي نون العظمة على عادة الملوك، وفي إسناد التعذيب إليه مجاز عقليّ في الإسناد علاقته السببية حيث إنّه السبب الآمر. فهو لا يباشر تعذيبهم بنفسه وإنما يأمر بتعذيبهم، وهذا المجاز العقلي أوحى بقوة أثره. (ثم يرد إلى ربه) في الآخرة، والتعبير بـ(ثمَّ) وإيثارها على غيرها من حروف العطف يوحي بالتراخي، والضمير في "به" ضمير غائب، يعود على هؤلاء الذين ظلموا وإيثار التعريف بضمير الغائب يوحي بأنهم ليس لهم حضور.

(فيعذبه) الفاء للسببية أي أن عذابهم كان بسبب ظلمهم، فهو في غاية العدل من الله؛ لأنه بما كسبت أيديهم (عذابا نكرا) أي منكراً فظيعاً وهو العذاب في نار جهنم وهو مفعول مطلق مبين لنوع الفعل يفيد التوكيد.

السر في مجيء (سوف):

(١) الجنى الداني في حروف المعاني: ص٥٢٢.
(٢) رصف المباني في شرح حروف المعاني: ص٤٧.
(٣) البحر المحيط: ج٦/ص٢٠٠.

لعل السر في مجيء (سوف) هنا ما ذكره أبو حيان صراحة فقال: وسرّ الإتيان بحرف التنفيس (سوف) لما يتخلل بين إظهاره كفره وبين تعذيبه من دعوته إلى الإيمان وتأبيه عنه، فهؤلاء لم يعاجلهم بالقتل على ظلمهم بل يدعوهم ويذكرهم فإن رجعوا وإلاّ فالقتل. فسرّ الإتيان كما نصّ أبوحيان هو هذا التراخي في الزمن المستقبل فهو تراخٍ كبير يتسع لدعائهم إلى الإيمان ثم تأبيهم وامتناعهم عن الامتثال ثم بعد ذلك يأتي الجزاء من جنس عملهم وهو القتل لهم كل ذلك أفاده حرف التنفيس (سوف) كما أن (سوف) توحي بشدة مجاهدة الرسل والأنبياء في تبليغ دعوة الله -تعالى- إلى البشر وصبرهم وتحملهم في سبيل تبليغ الرسالة. يضاف إلى ذلك أن (سوف) أتت لتأكيد هذا الوعيد فهو لا محالة واقع بهم.

١٥- قال تعالى: ﴿ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﴾ مريم: ٥٩.

المعنى العام: يخبر الله -عزوجل- أنه بعد هذا الزمان الذي اصطفى فيه هؤلاء الذين ذكرهم في الآية السابقة أتى قوم بعدهم في غاية الرداءة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات.

النظم: (فخلف من بعدهم خلف) فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال: خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون. تنكير (خلف) يدل على حقارتهم لتلبسهم بما يأتي بعده (أضاعوا الصلاة) تركوها أو أخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) كشرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والانهماك في المعاصي أو هو عام في كل مشتهى يشغل عن الصلاة وذكر الله. وإيثار التعبير بالفعل الماضي في قوله: فخلف، أضاعوا، واتبعوا لحكاية حالتهم الماضية، (فسوف يلقون غيا) أي يلابسون - وعداً لا خلف فيه بعد طول المهلة - جزاء فعلهم هذا شرّاً، فالغي عند العرب هو كل شر، وقيل: نهر في قاع جهنم، وسرّ

مجيء (سوف) هنا هو أنّ الغي نهر في أسفل جهنم بعيد لا يصلون إليه إلا في المستقبل البعيد "أخرج ابن جرير والطبراني وغيرهما من حديث أبي أمامة مرفوعاً: أنه نهر في أسفل جهنم يسيل فيه صديد أهل النار، وفيه: لو أن صخرة زنة عشر عشراوات قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها سبعين خريفاً، ثم تنتهي إلى غي وأثام ، ويعلم منه سر التعبير بسوف يلقون"(١). والتعبير بالمضارع في الفعل (يلقون) يوحي بالتجدد والحدوث في حدث الفعل إمعاناً في تعذيبهم.

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في إيثار (سوف) هنا أنها توحي بمدى إمهال الله – عز وجل– لهؤلاء العصاة. فلم يعاجلهم بالعقوبة إنما أخرهم لعلهم يرجعون ويتوبون ويمشون على خطى أسلافهم، فإن يعودوا إلى الجادة كان جزاؤهم في الآخرة من عملهم في الدنيا (فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها) فكانت (سوف) مناسبة لهذا العذاب في الآخرة كما أنها أكثر مجيئها في مقام الوعيد والتهديد، ووقع الألوسي على سر لطيف ودقيق لمجيء (سوف) هنا: هو أن التعبير بها يومئ إلى بعد مسافة هذا النهر الذي يعذب فيه هؤلاء وبعده يدل دلالة قاطعة على شدّة عذابهم، فهو بلا شك أشد حرّاً وأكثر ألماً يقول الألوسي: وسرّ مجيء (سوف) هنا هو أن الغيّ نهر في أسفل جهنم بعيد لا يصلون إليه إلا في المستقبل البعيد.

١٦– قال تعالى: ژ ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ژ مريم: ٦٦.

المعنى العام: **يحكي الله تعالى في هذه الاية قول منكري الحشر.**

(١) روح المعاني: ج٨/ص٤٢٧.

النظم: (ويقول) الواو للعطف على التعجب في قوله: (وقالوا أئذا كنا) تعجيباً وإنكاراً. (يقول) صيغة المضارع تؤذن بالتجدد والحدوث حالاً بعد حال. (الإنسان) التعبير بالمفرد وإن كان المراد به الجنس؛ لأنّ الإنكار على الواحد يستلزم الإنكار على المتعدد. فالله -عز وجل- ينكر على الإنسان الذي خلقه ولم يك شيئاً، وفضله بالعقل ونصب له الدلائل على وجود الله فشغل بنفسه عن التأمل في كمال ربه، ويحتمل أن يراد بعض الجنس وهم الكفرة. (أإذا ما مت) شدة استبعاد من هذا الإنسان على بعثه وخروجه حيّاً بعد موته، وتقديم (إذا) الظرفية هنا ووقوعها بعد همزة الإنكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ، ومنه جاء إنكارهم[1].

والعامل في (إذا) فعل من معنى أخرج لا هو، لمنع لام الابتداء، لعمله فيما قبله[2]. (ولسوف أخرج) يقول الزمخشري: لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال، فكيف جامعت حرف الاستقبال؟ قلت: لم تجامعها إلا مخلصة للتوكيد. و(ما) في (أَإِذَا مَا) للتوكيد، فكأنهم قالوا: أحقّاً إنَّا سنخرج أحياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك؟ على وجه الاستنكار والاستبعاد[3]. وعلق أبو حيان على كلام الزمخشري ناقضاً إياه بقوله: "وما ذكر من أن اللام تعطي معنى الحال مخالف فيه، فعلى مذهب من لا يقول ذلك يسقط السؤال ثم ينقل قوله (لسوف) وقال ابن عطية : واللام في قوله (لَسَوْفَ) مجلوبة على الحكاية لكلام تقدم بهذا المعنى كأن قائلاً قال للكافر: إذا مت يا فلان

(١) الكشاف: ج١٢/ص٢٣٣.
(٢) نظم الدرر: ج١٢/ص٢٣٣.
(٣) الكشاف: ج٤/ص٤٠.

لسوف تخرج حياً ، فقرر الكلام على الكلام على جهة الاستبعاد، وكرر اللام حكاية للقول الأول انتهى"(١).

ويعلق أبوحيان:"ولا يحتاج إلى هذا التقدير ولا أن هذا حكاية لقول تقدم، بل هذا من الكافر استفهام فيه معنى الجحد والإنكار"(٢).

(أُخْرَجَ) بالبناء للمفعول لتفخيم هذا الفاعل المحذوف وبيان قوة أثره في الإخراج كأنَّ هذا الإخراج لا يكون إلا بقوة قادر. وإيثار صيغة المضارع إمّا لاستحضار الصورة الماضية لوجود نوع غرابة فيها، وإما لإفادة التجدد والاستمرار فإن هذا القول لا يزال يتجدد حتى تقوم الساعة وينفخ في الصور فيخرج الناس من قبورهم.

خلاصة القول في اللام الداخلة على المضارع:

١ – أجمع النحاة على أن هذه اللام هي لام الابتداء، وهي اللام المفتوحة، في نحو: لزيدٌ قائم. وفائدتها توكيد مضمون الجملة. قال الزمخشري وغيره: ولا تدخل إلاَّ على الاسم، والفعل المضارع. ومثلوا دخولها على المضارع بقوله تعالى: (وإن ربك ليحكم بينهم) وهو صحيح؛ لأنّ اللام الداخلة في خبر إنّ هي في الأصل لام الابتداء"(٣).

٢ – اختلف اللغويون في دخول هذه اللام على المضارع إذا لم يكن بعد إنْ. أجاز ذلك ابن مالك ومثَّله بقوله: ليحبّ الله المحسنين، وأجاز ذلك أيضاً المالقي في رصف المباني قال: هذه اللام تدخل للابتداء في المبتدأ نحو (لأنتم أشد) وما حلَّ محلَّه وهو المضارع إذا صدر به نحو: ليقوم زيدٌ وكذا الفعل الذي لا ينصرف نحو: (لبئس ما كانوا يعملون) وعلل ذلك لمشابهة الفعل المضارع للاسم، أمَّا الماضي

---

(١) المحرر الوجيز: ج٤/ص٢٥.
(٢) البحر المحيط: ج٦/ص٢٥٥.
(٣) الجنى الداني: ص١٢٤.

غير المتصرف فلعدم تصرفه[1]. أما من منع دخول لام الابتداء على المضارع فهم: ابن الخباز في شرح الإيضاح قال: لا تدخل لام الابتداء على الجمل الفعلية إلا في باب إنَّ، وابن الحاجب والزمخشري منعا دخول لام الابتداء على المضارع مباشرة، ومقتضى كلام الزمخشري أن لام الابتداء إذا دخلت على المضارع ولم تتقدم (إنَّ) فالمبتدأ محذوف بعدها، قال في الكشاف: فإن قلت: ما هذه اللام الداخلة على سوف؟ -يعني في قوله تعالى: (ولسوف يعطيك ربك فترضى)- قلت: هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة، والمبتدأ محذوف تقديره: ولأنت سوف يعطيك[2].

٤- هل هذه اللام إذا دخلت على المضارع حقيقة بأن لم يكن في الكلام (إنّ) أو تقديراً بأن كان في الكلام (إنَّ) تفيد الحال أي تمحض دلالة المضارع للحال بعد أن كان يدل على الحال والاستقبال فتتعارض مع (سوف) التي تمحض دلالته للمستقبل؟.

اختلف اللغويون في ذلك أيضاً فذهب ابن هشام في المغني إلى أن فائدة لام الابتداء أمران: الأول: توكيد مضمون الجملة، ولهذا زحلقوها في باب إنَّ عن صدر الجملة كراهية ابتداء الكلام بمؤكدين. الثاني: تخليص المضارع للحال، قال ابن هشام: وكذا قال الأكثرون[3].

ولكن ابن مالك اعتراض على أن لام الابتداء تخلص المضارع للحال وعضد رأيه بقوله تعالى: (وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة). ويظهر أن الحق مع ابن مالك بدلالة الآية؛ لأن الحكم فيها مقيد بظرف مستقبلي هو يوم القيامة ولو كانت هذه اللام تخلص المضارع

(١) رصف المباني في شروح المعاني: ص١٠٨.
(٢) الكشاف: ج٤/ص٥٧٨، والجنى الداني ص١٢٦، ومغني اللبيب ج١/ص٣٠٢.
(٣) مغني اللبيب: ج١/ص٣٠١.

للحال وتمحض دلالته عليه لما قيد الفعل المضارع (ليحكم) بهذا الظرف ولكان أتى عارياً عن القيد أصلاً. ومما يعضد رأي ابن مالك أيضاً ويقويه كلام أبي حيان السابق بأن لام الابتداء تمحض الفعل المضارع للدلالة على الحال الصادر من الزمخشري وغيره مخالف فيه.

والصحيح الذي نميل إليه هو أن هذه اللام الداخلة على الفعل المضارع هي لام الابتداء التي تفيد معنى التوكيد.

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) هنا هو التعبير عن طول مدة الحياة البرزخية التي يقضيها الإنسان في قبره، وهذا مناسب للاستبعاد التعجبي الذي أفاده الاستفهام، فهذا الإنسان الكافر الذي لم يؤمن ببعثه مرة ثانية بعد أن طالت مدة بقائه في قبره فتعفن جسده وأكله الدود الذي فنى أيضاً وتحول تراباً، لذا تعجب واستبعد بعثه مرة ثانية. كما أن من سرّ التعبير بـ(سوف) أنها تأتي لتأكيد هذا الوعيد في مقام التعجب والاستبعاد؛ لأن هذا التعجب والاستبعاد ناتجان عن التردد والشك والإنكار، لذا كان من جمال النظم في هذه الآية أنْ أتت لام الابتداء التي تفيد التوكيد أيضاً فيجتمع توكيدان الغرض منهما إزالة التعجب والاستبعاد الذي أبداه هذا الإنسان الذي كفر بالبعث.

١٧ – قال تعالى: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ □
□ □ □ □ ﮊ الفرقان: ٤٢.

المعنى العام: يحكي الله –عزوجل– قول هؤلاء الكافرين: أنَّه من شدة اجتهاد الرسول –ﷺ– في دعوتهم قربوا أن يؤمن به ويتبعوه ويكفروا بآلهتهم.

النظم: (إن كاد ليضلنا عن آلهتنا) دليل على فرط مجاهدة رسول الله –ﷺ– في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في

استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام. وهذه الآية أبلغ رد عليهم في بيان أنه –عليه الصلاة والسلام– هادٍ لا مضل؛ لأنها تدل على نفي الضلال عنه –ﷺ– باعترافهم، والمضل لغيره لابد أن يكون ضالا في نفسه، ونفي اللازم يقتضي نفي الملزوم[١] (إنْ) مخففة من (إنّ) المشددة والأكثر في الكلام إهمالها، والجملة التي تليها يلزم أن تكون مفتتحة بفعل من أخوات كان أو ظن، والجملة بعدها مستأنفة، واللام في قوله: (ليضلنا) هي الفارقة بين إنّ المحققة والنافية[٢].

(لولا أن صبرنا عليها) لولا حرف امتناع، أي امتناع وقوع جوابها لأجل وجود شرطها فتقتضي جواباً لشرطها ، والجواب هنا محذوف لدلالة ما قبل (لولا) عليه ، وهو (إن كاد ليضلنا). وفائدة نسج الكلام على هذا المنوال دون أن يؤتى بأداة الشرط ابتداء متلوة بجوابها قصد العناية بالخبر ابتداء بأنه حاصل ثم يؤتى بالشرط بعده تقييداً لإطلاق الخبر فالصناعة النحوية تعتبر المقدَّم دليلَ الجواب ، والجواب محذوفاً لأن نظر النحوي لإقامة أصل التركيب ، فأما أهل البلاغة فيعتبرون ذلك للاهتمام وتقييد الخبر بعد إطلاقه[٣]. وقال الزمخشري: " و(لولا) في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى –لا من حيث الصنعة– مجرى التقييد للحكم المطلق"[٤]. (أن صبرنا عليها) الصبر: الاستمرار على ما يشق عمله، و(على) توحي بالتمكن.

(١) روح المعاني: ج١٠/ص٢٤.
(٢) التحرير والتنوير: ج١٠/ص٣٣.
(٣) التحرير والتنوير: ج١٩/ص٣٣.
(٤) الكشاف: ج٣/ص٢١٥.

(وسوف يعلمون حين يرون العذاب) فهذا وعيد ودلالة على أنهم لا يفوتونه، ولا بدّ للوعيد أن يلحقهم فلا يغرّنهم التأخير[١]. وفي تقييد العلم بوقت رؤية العذاب وعيد لهم وتنبيه على أنه تعالى لا يهملهم وإن أمهلهم[٢]. (من أضل سبيلا) كالجواب عن قولهم: إن كاد ليضلنا، وهي جملة استفهامية من مبتدأ وخبر متعلقة بـ (يعلمون) فهي سادّة مسد مفعوليه إن كان على بابه وإن كان بمعنى يعرفون تكون سادة مسد مفعول واحد، وفيه وعيد من حيث إنه يدلّ على أنه لا محيص لهم عن العذاب وإن تأخر"[٣]. وجعل الطاهر ابن عاشور جملة (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) جواب قولهم: (إن كاد ليضلنا)، وجعل الأظهر أن المراد بالعذاب هو عذاب السيف النازل بهم يوم بدر"[٤]. ويظهر أن صيغة المضارع في (يعلمون) توحي بتجدد العلم لهم كلما انهزموا.

السر في مجيء (سوف):

لعل السر الأظهر في إيثار (سوف) هنا هو تأكيد هذا الوعيد والتهديد لهم برؤية العذاب في الدنيا مرات كثيرة ومتعددة كلما انتصر عليهم المسلمون وأذاقوهم مرارة الهزيمة، وقد حدث ذلك بالفعل في المستقبل، فالآية مكية نزلت وقت أن كان المسلمون مستضعفين فلما هاجروا وقويت شوكتهم انتصروا على الكفَّار في بدر وغيرها من الغزوات، فـ(سوف) هنا أفادت تأكيد هذا الوعيد وأنه كائن لا محالة بوعد لا خلف فيه من المنتقم الجبار، وقد حدث ذلك فهو من المعجزات. هذا إن جعلنا المقصود بالعذاب هو الانتصار عليهم في

(١) الكشاف: ج٤/ص٣٥٢.
(٢) روح المعاني: ج١٠/ص٢٤.
(٣) حاشية زاده: ج٦/ص٢٩٤.
(٤) التحرير والتنوير: ج١٩/ص٣٤.

الدنيا أمّا إن جعلنا المراد بالعذاب هو عذاب يوم القيامة، فسرّ استعمال (سوف) هو أنها أكثر تنفيساً وأبلغ في الدلالة على الاستقبال من غيرها. كما أنها أفادت أيضاً تأكيد الوعيد وهو أكثر استعمالها.

١٨- قال تعالى: ژ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ۋ ژ الفرقان: ٧٧.

المعنى العام: لما شرح الله تعالى في الآيات السابقة صفات المتقين وشرح حال ثوابهم أمر رسوله -ﷺ- أن يقول لهم: إن هذا الثواب من ربهم إنما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر، ولولا عبادتهم لم يكترث لهم ولم يعتدّ بهم ولم يكونوا عنده شيء يبالى به.

النظم: (قل ما يعبأ بكم ربي) (ما) هنا إما أن تكون استفهامية وإما أن تكون نافية، فالمعنى على الاستفهامية ما يصنع بكم؟ من عبأت الجيش إذا هيأ به فأريد به لازم معناه: الصنع، والمعنى على النافية لا يعتد بكم وهو من العبء بمعنى الحمل، ولما كان ما لا يعتدّ به يرمى ولا يحمل أطلق على عدم الاعتداد بالشيء وعدى تعديته وكان متعدياً بنفسه[١] وهي عند الزمخشري نافية[٢]. (لولا دعاؤكم فقد كذبتم) لولا حرف شرط غير جازم- حرف امتناع لوجود، لولا عبادتكم فإن شرف الإنسان وكرامته بالمعرفة والطاعة وإلا فهو وسائر الحيوانات سواء فقد كذبتم، جملة جواب الشرط والخطاب هنا لكفار قريش أو لجميع العباد، وجوَّز الشيخ زاده كون الجواب محذوف لدلالة المقام عليه أي لولا دعاؤكم لما خلقكم ولما اعتنى بشأنكم[٣]. وتكون جملة (فقد كذبتم) معطوفاً على شرط محذوف، وقوله: (فسوف) جزاء

(١) حاشية الشهاب: ج٧/ص١٦٠.
(٢) الكشاف: ج٣/ص٢٢٧.
(٣) حاشية زاده: ج٧/ص٣١٩.

لذلك الشرط المحذوف كأنه قيل إذا أعلمتكم أني لا أعبأ بعبادي إلا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي، فسوف يلزمكم إثم تكذيبكم حتى يكبكم في النار فإني لا أعتد بمن لا يشتغل بالعبادة، وبعد هذا الإعلام تركتم العبادة فسوف يلحقكم العذاب[١].

(فسوف) الفاء للسببية أي فتسبب عن تكذيبكم أنه يجازيكم على ذلك ولكنه مع قوته وقدرته واختياره لا يعاجلكم[٢]. فالفاء سببية عاطفة، وسوف: حرف استقبال وتنفيس وتراخ.

(يكون لزاما) أي يكون جزاء التكذيب لازماً يحيق بكم لا محالة أو أثره لازماً بكم حتى يكبكم في النار، وهذا ما توحي به الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها، والطاهر بن عاشور جعل الفاء هنا للتفريع على قوله: (لولا دعاؤكم) والتقدير: فقد دعاكم إلى الإسلام فكذبتم الذي دعاكم على لسانه[٣]. وفي الفعل (يكون) ضمير لم يتقدمه مرجع صريح فهو من باب الإضمار من غير ذكر غرضه البلاغي التهويل والتنبيه على أنه مما لا يكتنهه الوصف[٤]. وجعله الشهاب من غير ذكر صريح وإلا فهو ضمن الفعل فلا إضمار قبل الذكر[٥].

السر في مجيء (سوف):

الآية تتحدث عن عذاب يلحق بهؤلاء الذين استكبروا عن عبادته -سبحانه- يكون لازماً لهم في المستقبل لا ينفكون عنه، فهذا تهديد ووعيد لهم لا خلف فيه، لذا استعمل (سوف) التي تفيد التنفيس والاستقبال، وأكثر استعمالها في الوعيد.

(١) حاشية زاده: ج٧/٣١٩.
(٢) نظم الدرر: ج١٣/ص٤٣٩.
(٣) التحرير والتنوير: ج١٩/ص٨٦.
(٤) البيضاوي: ج٧/ص١٦١.
(٥) حاشية الشهاب: ج٧/ص١٦١.

١٩- قال تعالى: ژ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ژ الشعراء: ٤٩ .

المعنى العام: لما آمن السحرة بأجمعهم، لم يأمن فرعون أن يقول الناس إن هؤلاء السحرة على كثرتهم وتظاهرهم لم يؤمنوا إلا عن معرفة بصحة أمر موسى -عليه السلام- فيسلكون مثل طريقهم فلبَّس على القوم وبالغ في التنفير عن موسى -عليه السلام-.

النظم: (أأمنتم له قبل أن آذن لكم) قال الزمخشري: "وهذا فيه إيهام أن مسارعتكم إلى الإيمان به دالة على أنكم كنتم مائلين إليه".

(إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) وهذا تصريح بما رمز به أولاً، وغرضه منه أنهم فعلوا ذلك عن مواطأة بينهم وبين موسى -عليه السلام- وقصروا في السحر ليظهر أمر موسى -عليه السلام-.

(فلسوف تعلمون) الفاء للسببية، أي فتسبب عما فعلتم أني أعاقبكم عقوبة محققة عظيمة ، وأتى بأداة التنفيس خشية من أن لا يقدر عليهم فيعلم الجميع عجزه فيؤمنوا، مع ما فيها في الحقيقة من التأكيد في الوعيد للسحرة الذين لم يؤثر عندهم شيء في جنب ما أشهدهم الله من الآية التي مكنتهم في مقام الخضوع[1]. وكان وعيده لهم على جهة الإجمال والإبهام هنا ثم فصل ذلك المجمل وبين ذلك المبهم فقال: (لأقطعن أيديكم)[2]. فهذا التفصيل بيان للمفعول به المحذوف من الفعل (تعلمون). أمّا اللام الداخلة على (سوف) فقيل: إنها للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف أي فلأنتم سوف تعلمون . وليست للقسم لأنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكدة. وجمعها مع سوف للدلالة على أن العلم كائن لا

(١) نظم الدرر: ج١٤/ص٣٥.
(٢) حاشية زاده: ج٦/ص٣٣٧.

محالة وأن تأخر لداع، وقيل: هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين النون فيما عدا صورة الفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس وصورة الفصل بينهما بمعمول الفعل. وقال أبو علي: هي اللام التي في لأقومن ونابت (سوف) عن إحدى نوني التأكيد فكأنه قيل: فلتعلمن"[1].

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) أن فرعون خشي من عدم قدرته على إلحاق العذاب بهؤلاء السحرة في الحال، فخشي من أن يكون عجزه هذا سبباً في إيمان كل القوم بنبيّ الله موسى –عليه السلام– فأراد أن يعطي لنفسه مهلة طويلة في الزمن المستقبلي المنقطع عن الحال فهذا التنفيس في (سوف) يعطيه القدرة على جمع شتات نفسه التي تفرقت من هول ما رآى من سيدنا موسى –عليه السلام– ومن إيمان السحرة به، وهذا أمرٌ داخليّ في نفس فرعون كما أنّ هذا التنفيس في (سوف) يعطيه القدرة أيضاً على امتحان جنده ومن يقوم بتنفيذ وعيده في السحرة هل هم باقون على عهدهم معه وولائهم له ونصرتهم إياه أم انقلبوا عليه بعدما انقلب من وثق بهم من السحرة، كما أن (سوف) هنا تفيد تأكيد وعيد فرعون للسحرة فهو يريد أن يرهب نفوسهم لعلهم يرجعون ولكن هيهات لهذه القلوب التي امتلأت بالإيمان أن يخامرها الخوف فضلاً عن أن يتمكن منها.

٢٠– قال تعالى: ژ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ چ ژ العنكبوت: ٦٦.

المعنى العام: **يحكي الله –تعالى– في هذه الآية ما كان من هؤلاء المشركين الذين نجاهم الله برحمته من الغرق فجعلوا شكر هذه النعمة الكفر بها.**

(١) روح المعاني: ج١٠/ص٧٩.

النظم: (ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا) اللام في (لِيَكْفُرُواْ) محتملة أن تكون لام كي، وكذلك في (وَلِيَتَمَتَّعُواْ) فيمن قرأها بالكسر. والمعنى: أنهم يعودون إلى شركهم ليكونوا بالعود إلى شركهم كافرين بنعمة النجاة، قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير، على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة(١).

وجوَّز البيضاوي أن تكون اللام لام الأمر قال الشهاب في الحاشية: وإذا كانت الثانية لام الأمر فالأولى كذلك ليتضح العطف وتخالفهما محوج إلى التكلف والأمر بالكفر والتمتع مجاز في التخلية والخذلان والتهديد كما تقول لمن يخالفك في الغضب افعل ما شئت، ووجه التأييد أن لام كي لا تسكن، وقوله: (فسوف يعلمون) مؤيد للتهديد أيضاً(٢).

(فسوف تعلمون) بوعد لا خلف فيه ما يحل بهم بهذا الفعل الذي هو دائر بين كفر وجنون(٣). وقرأ ابن مسعود: فتمتعوا فسوف تعلمون، بالتاء فيهما: أي قيل لهم تمتعوا فسوف تعلمون.

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) أنها تفيد التهديد والوعيد لهم بعذاب يقع عليهم في يوم القيامة.

٢١ – قال تعالى: ژ ڈ ڈ ٹٹ ڈ ڈ ڤ ژ الروم: ٣٤.

المعنى العام: أي ليكفر هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بالرحمة وليتمتعوا بكفرهم هذا فسوف تكون عاقبتهم الخزي بعذاب شديد يوم القيامة.

(١) الكشاف: ج٤/ص٥٦٠.
(٢) حاشية الشهاب: ج٧/ص٣٦٧.
(٣) نظم الدرر: ج١٤/ص٤٧٨.

النظم: (ليكفروا) اللام فيه للعاقبة أي لم يترتب على إشراكهم سوى الكفر بنعمة الإنجاء من تلك الشدة، فاللام مجاز مثلها في قوله: ليكون لهم عدوّاً، ويجوز فيها أن تكون لام (كي) أو لام الأمر للتهديد كما تقدَّم في آية سورة العنكبوت السابقة. والضمير عائد إلى (فريق) في قوله تعالى: (إذا فريق منهم بربهم يشركون).

وقوله: (فتمتعوا) الأمر فيه للتهديد نظير (اعملوا ما شئتم)[١]. والفاء للسببية وفي الآية التفات من الغيبة في قوله (ليكفروا) إلى الخطاب في قوله: (فتمتعوا)[٢]. وقارن الزمخشري بين قوله تعالى: ﮋ ﭼﭽ ﭾ ﭿﮊ العنكبوت: ٦٦، وبين قوله تعالى هنا: ﮋﮂ ﮃ ﮄﮊ الروم: ٣٤، فقال: إن فائدة الخطاب ههنا في قوله: (فتمتعوا) وعدمه هناك في قوله: ﮋ ﭼﭽ ﭾ ﭿﮊ فنقول: لما كان الضر المذكور هناك ضراً واحداً جاز أن لا يكون في ذلك الموضع من المخلصين من ذلك الضر أحد، فلم يخاطب ولما كان المذكور ههنا مطلق الضر ولا يخلو موضع من المخلصين عن الضرّ، فالحاضر يصح خطابه بأنه منهم فخاطب[٣].

والالتفات في الآية واضح حيث انتقل من الغيبة في قوله: (ليكفروا) إلى الخطاب في قوله (فتمتعوا). وسره البلاغي أن في توجيه الوعيد والتهديد للمخاطبين زيادة في الألم وأشد من توجيهه للغائبين، فالمواجهة بالخطاب توحي أنهم لن يفلتوا من عقاب الله –تعالى–.

(فسوف تعلمون) الفاء للسببية أي يكون لكم بوعد لا خلف فيه علم فتعرفون إذا حل بكم البلاء وأحاط بكم جميعاً المكروه هل ينفعكم

(١) الكشاف: ج٤/ص٥٧٩.
(٢) حاشية الشهاب: ج٧/ص٣٩٠.
(٣) التفسير الكبير: ج٢٥/ص١٠٦.

شيء من الأصنام أو من اتخذتم عنده يداً بعبادتها ووافقتموه في التقرب إليها[1]. ومفعول (تعلمون) محذوف وتقديره: وبأن تمتعكم أو عاقبة تمتعكم. وفي حذف هذا المفعول دلالة عظمه وأنه غير مرتقب وأشدّ مما تتخيله النفس.

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) هنا أنّ هذا الوعيد خاص بالعذاب الواقع بهم يوم القيامة، كما أن فيه تأكيداً لهذا الوعيد، وذهب الطاهر بن عاشور إلى أن هذا تهديد ووعيد بما سيصابون به يوم بدر من الاستئصال والخزي وهم كانوا يستعجلون بعذاب من جنس ما عذب به الأمم الماضية مثل عاد وثمود، وكانت الغاية واحدة؛ فإن إصابتهم بعذاب سيوف المسلمين أبلغ في كون استئصالهم بأيدي المؤمنين مباشرة[2]. وهذا تنفيس أيضاً في المستقبل لا تستعمل معه إلا (سوف) لامتداد الزمن معها في المستقبل.

٢٢ – قال تعالى: ژ ہ ہ ه ه ھ ھ ژ الصافات: ١٧٠.

المعنى العام: **الضمير يعود إلى مشركي قريش الذين كفروا بالقرآن الكريم وهو الكتاب المعجز من بين الكتب فهو هدى لهم.**

النظم: **(فكفروا به) الفاء للسببية أي فتسبب عمّا عاهدوا عليه أنهم كفروا بذلك الذكر، والتعبير بالماضي لحكاية الحال الماضية.**

(فسوف تعلمون) الفاء للسببية أي فتسبب عن ذلك تهديدهم بوعيد ليس هو جنس كلامهم بل هو مما لا خلف فيه بوجه[3]. سوف هنا للوعيد، ومفعول الفعل (يعلمون) محذوف تقديره: فسوف يعلمون

(١) نظم الدرر: ج١٥/ص٩٤.
(٢) التحرير والتنوير: ج٢١/ص٩٩.
(٣) نظم الدرر: ج١٦/ص٣١٣.

مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام، وسر حذفه؛ لتذهب النفس في تقديره كل مذهب.

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) أنّ المقام للوعيد يوم القيامة لكفرهم بالقرآن الكريم، فالاستقبال هنا مطلق.

٢٣- قال تعالى: ژ ۋ ۉ ۉ ې ژ الصافات: ١٧٥.

المعنى العام: **فأبصرهم يا محمد -عليه الصلاة والسلام- وما يقضى عليهم من القتل والأسر في الدنيا والعذاب في الآخرة.**

(وأبصرهم) أمر من الله تعالى لنبيه أن يبصرهم ببصره وبصيرته عند الحين الذي ضربه له، وهذا الحين واضح يوم بدر وما قضى عليهم في هذا اليوم من القتل والأسر، والمراد بالأمر بإبصارهم على الحال المنتظرة الموعودة: الدلالة على أنها كائنة واقعة لا محالة، وأنّ كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك. وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه[١]. وحذف ما يتعلق به الإبصار من حال أو مفعول تقدم من قوله: (إنهم لهم المنصورون) والأمر خرج إلى الإرشاد[٢]. (فسوف يبصرون) أي يحصل لهم الإبصار الذي لا غلط فيه بالعين والقلب بعد ما هم فيه من العمى ما يكون لك من التأييد والنصر، وهذا تهديد لهم (وسوف) للوعيد لا للتسويف والتبعيد الذي هو حقيقتها وقرب ما حل بهم مستلزم لقرب ما يكون له عليه الصلاة والسلام فهو قرينة على عدم إرادة التبعيد منه[٣].

(١) الكشاف: ج٤/ص٥٢.
(٢) التحرير والتنوير: ج٢٣/ص١٩٦.
(٣) روح المعاني: ج١٢/ص١٤٩.

وحذف المفعول من الفعل (يبصرون) لأنهم كانوا قبل الإسلام عمياً صمًّا لأنهم لا يصدقون وعداً ولا وعيداً ، ولا يفكرون في عاقبة[1]. كما تقول: اصبر سوف ترى حالك، تريد به التخويف والوعيد لا التسويف والتبعيد إذا قلته وأنت بصدد الإيذاء والعقاب، فإن قلت: إن كونها للوعيد لا ينافي كونها للتبعيد مع صحة معنى التبعيد هنا أيضاً فإن ما قضى له عليه الصلاة والسلام جاز استبعاده فما معنى قوله لا للتبعيد قلت: لما حمل (سوف) على معنى الوعيد بشهادة المقام تعين أن لا تكون للتبعيد لأنها لو كانت للتبعيد لما فهم منها معنى الوعيد[2].

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) هنا أنّها كما قال الألوسي والبقاعي: ليست لتبعيد زمن المستقبل وإنما أتت لتأكيد الوعيد والتهديد.

٢٤ – قال تعالى: ژ □ □ □ □ ژ الصافات: ١٧٩.

(وأبصر مسقطاً ضميرهم، أي أبصر ما تريد من شؤونك التي يهمك النظر فيها، وأما هم فصاروا بحيث لا يبالي بهم ولا يفكر في أمرهم ولا يلتفت إليهم"[3]. وقيل المراد من هذه الكلمة أي: (وأبصرهم) أحوال الدنيا، وفي هذه الكلمة أي: (وأبصر) أحوال القيامة، وعلى هذا فالتكرير زائل ، وقيل أن المراد من التكرير المبالغة في التهديد والتهويل[4].

(١) نظم الدرر: ج١٦/ص٣١٣.
(٢) حاشية شيخ زاده: ج٧/ص١٦٩.
(٣) نظم الدرر: ج١٦/ص٣١٨.
(٤) التفسير الكبير: ج٢٦/ص١٥٠.

(فسوف يبصرون) تسلية لرسول الله ﷺ إثر تسلية وتأكيد لوقوع الميعاد غب تأكيد.

وحذف المفعول به في هذه الآية من الفعلين معاً (أبصر) (يبصرون) والتقدير: أنه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساعدة. وقيل: أريد بأحدهما عذاب الدنيا وبالآخَر عذاب الآخرة"(١).

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) هنا أنّها أفادت التبعيد إذا كان المفعول به المحذوف تقديره: أهوال يوم القيامة.

٢٥ – قال تعالى: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ ژ الزمر: ٣٩ – ٤٠.

المعنى العام: **يأمر الله عز وجل– نبيه أن يقول للمشركين أنتم تعتقدون في أنفسكم أنكم في نهاية القوة والشدة فاجتهدوا في أنواع مكركم وكيدكم فإني عامل أيضاً على تقرير ديني.**

النظم: **(اعملوا) الأمر خرج عن معناه إلى التهديد (على مكانتكم) أي على حالكم وهو في الأصل اسم مكان استعير للحال. (إني عامل) وعيد لهم وإطلاقه لزيادة الوعيد؛ لأنه لو قيل: على مكانتي لتراءى أنه –عليه الصلاة والسلام– على حالة واحدة لا تتغير ولا تزداد فلما أطلق أشعر بأنه له –ﷺ– كل زمان مكانة أخرى وأنه لا يزال يزداد قوة بنصر الله تعالى وتأييده، ويؤيد ذلك قوله تعالى : ژ □**

(١) الكشاف: ج٤/ص٥٣.

□ژ[1]. أي أنَّ حذف صلة (إني عامل) للتعميم، وليذهب ذهن السامع كل مذهب فيما يغيظهم ويفرِّق شملهم ويبطل كيدهم"[2].

(فسوف تعلمون) أي بوعد لا خلف فيه (من يأتيه) أي منا ومنكم (عذاب يخزيه) أي يزيل عنه كل شيء في الدنيا، (ويحل عليه عذاب مقيم) في الآخرة. يقول الزمخشري: ألا ترى كيف توعدهم بكونه منصوراً عليهم غالباً لهم في الدنيا والآخرة"[3].

(من يأتيه عذاب يخزيه) (من) تحتمل الاستفهامية والموصولة، وجملة (يخزيه) صفة لعذاب.

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) أنّ الآية تهديد ووعيد بعذاب يلحق بهم ويخزيهم يوم القيامة، فـ(سوف) هنا للتسويف والتبعيد.

٢٦- قال تعالى: ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ ژ غافر: ٧٠ - ٧١.

المعنى العام: **هذه الآية وعيد من الله تعالى للذين كذبوا بالقرآن الكريم وبما أرسل به رسله من سائر الكتب.**

النظم: **(الذين كذبوا بالكتاب) كلام مستأنف في الكفار في محل رفع مبتدأ، وخبره (فسوف يعلمون) ويجوز أن يكون في محل الجر على أنه بدل من الموصول الأول في قوله: (ألم تر إلى الذين يجادلون) أو بيان أو صفة له أو في محل نصب على الذم أو في محل الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف. والمراد بالكتاب: القرآن أو جنس**

(١) روح المعاني: ج٢٤/٢٦٢.
(٢) حاشية زاده: ج٧/ص٢٥٧.
(٣) الكشاف: ج٤/ص٩٨.

الكتب السماوية. وعلى الأول أي وعلى أن الموصول في محل رفع مبتدأ يكون الغرض من تعريفه بالموصولية الإيماء إلى الخبر؛ لأن مضمون الصلة هو تكذيبهم بالكتاب فكان جزاؤهم هذا التهديد. (وبما أرسلنا به رسلنا) معطوف على قوله: (بالكتاب) أي كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا ولم يعطف على المجادلة في الآية السابقة (ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله)؛ لأن المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل"[(١)]. (وبما أرسلنا به) أي من سائر الكتب أو الوحي والشرائع.

(فسوف يعلمون إذ الأغلال) أي بوعيد صادق لا خلف فيه ما يحل بهم من سطوتنا[(٢)]. قال الزمخشري: فإن قيل: سوف للاستقبال للماضي، فقوله (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ) مثل قولك: سوف أصوم أمس؟ قلت: المعنى على (إذا) : إلا أن الأمور المستقبلية لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعاً بها: عبر عنها بلفظ ما كان ووجد، والمعنى على الاستقبال[(٣)]. و(إذْ) التي هي ظرف لما مضى بمعنى (إذا) التي هي للمستقبل وكان ذلك في غاية الحسن والبلاغة؛ لأنّ المستقبل في حق الله تعالى متيقّن الوقوع، وجملة: (فسوف تعلمون) مسوقة للتهديد والفاء جاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط هذا على الرأي الأول إذا جعلنا جملة (الذين كذبوا) جملة ستأنفة.

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) هنا هو التهديد والوعيد لهم في المستقبل في يوم القيامة، فالمستقبل منقطع الاتصال بالحاضر.

(١) روح المعاني: ج٢٤/ص٣٣٧.
(٢) نظم الدرر: ج١٧/ص١١٣.
(٣) الكشاف: ج٤/ص١٣٧.

٢٧ – قال تعالى: ژ ڈ ڈ ژ الزخرف: ٤٤.

المعنى العام: **يقول الله تعالى لنبيه –عليه الصلاة والسلام–: إن الذي أوحي إليك لشرف لك ولقومك، ولسوف تسألون عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين.**

النظم: **(واسأل من أرسلنا) فيه إيجاز بحذف المضاف؛ إذ التقدير واسأل أمم من أرسلنا إليهم رسلنا، ويؤيد ذلك "ما أخرجه ابن المنذر وغيره عن قتادة أنه قال في بعض القراءات: واسأل من أرسلنا إليهم رسلنا قبلك"(١).**

(وسوف تسألون) أي تصيرون في سائر أنواع العلم محط رحال السائلين ديناً ودنياً بحيث يسألكم جميع أهل الأرض من أهل الكتاب ومن غيرهم عمَّا يهمهم من أمر دينهم ودنياهم لما يعتقدون من أنه لا يوازيكم أحد في العلم بعد أن كنتم عندهم أحقر الأمم ضعفاً وجهلاً كما وقع لبني إسرائيل حيث رفعهم الله"(٢). هذا وجه، وذكر الكلبي وجهاً آخر قال: تسألون هل أديتم شكر إنعامنا عليكم بهذا الذكر الجميل؟ وقال مقاتل: المراد: أنَّ من كذب به يسأل لم كذبه؟ فيسأل سؤال توبيخ"(٣).

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) هنا هو أنّ السؤال لن يكون إلا في المستقبل بكل ما يمكن السؤال عنه فإن كان المراد أنكم تصيرون في سائر أنواع العلم محطّ رحال السائلين فلم يحدث لهم ذلك إلا في

(١) روح المعاني: ج٢٥/ص٨٦.
(٢) نظم الدرر: ج١٧/ص٤٣٧.
(٣) التفسير الكبير: ج٢٧/ص١٨٥.

المستقبل وإن كان المراد سؤالكم عن شكر هذه النعمة هل أديتم حقها أم لا فهذا لن يكون إلا في الآخرة. وإن كان المراد سؤال من كذب فقط لم كذب؟ فيسأل سؤال توبيخ، فهذا في الآخرة أيضاً.

٢٨- قال تعالى: ژ □ □ □ □ □□ □ □ □ ژ الزخرف: ٨٩.

المعنى العام: **يأمر الله تعالى نبيه أن يعرض عن دعوة قومه يائساً من إيمانهم.**

النظم: **قوله: (فاصفح عنهم) أمر من الله لنبيه بالإعراض عنهم، واختار الله تعالى "اصفح" ولم يقل" اعرض عنهم؛ لتضمنه منعه من أن يدعو عليهم بالعذاب[١]. وأصل الصفح: ليُّ صفحة العنق فكنى به عن الإعراض، والإعراض عن الدعوة ظاهر في عدم القتال[٢]. (وقل سلام) معناه المتاركة، ونظيره قول إبرهيم لأبيه: (سلام عليك سأستغفر لك ربي) أي أمري سلام تسلم منكم ومتاركة فليس ذلك أمراً بالسلام عليهم والتحية وإنما هو أمر بالمتاركة"[٣].**

(فسوف يعلمون) بوعد لا خلف فيه، فهذا تهديد كبير، وقراءة المدنيين وابن عامر بالخطاب أشد تهديداً[٤] على الالتفات ولما في الخطاب من عنصر المواجهة، فالآية وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسوله ﷺ"[٥]. أي سوف يعلمون حالهم السيئة وإن تأخر ذلك.

السر في مجيء (سوف):

(١) التفسير الكبير: ج٢٧/ص٢٠١.
(٢) حاشية الشهاب: ج٨/ص٤١٥.
(٣) روح المعاني: ج٢٥/ص١٠٨.
(٤) نظم الدرر: ج١٧/ص٥٠١.
(٥) الكشاف: ج٤/ص٢٠٥.

لعل السر في مجيء (سوف) أنّها جاءت هنا لتهديدهم ووعيدهم في المستقبل.

٢٩ – قال تعالى: ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ النجم: ٣٩ – ٤١.

المعنى العام: هذه الآية تتمة بيان أحوال المكلف فإنَّه لما بيَّن له أن سيئته لا يتحملها عنه أحد بيَّن له أن حسنة الغير لا تجدي نفعاً ومن لم يعمل صالحاً لا ينال خيراً فيكمل بها ويظهر أن المسيء لا يجد بسبب حسنة الغير ثواباً ولا يتحمل عنه أحد عقاباً"[١].

النظم: قوله: (وأن ليس للإنسان) الظاهر أن الإنسان يشمل المؤمن والكافر، و(أنْ) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف وجملة (ليس للإنسان) خبرها. (إلا) الحصر وقع في السعي فليس له سعي غيره، وقال عكرمة: كان هذا الحكم في قوم إبراهيم وموسى، وأما هذه الأمّة فلها سعي غيرها، كما دلت على ذلك الأحاديث[٢]. وملاك المعنى في اللام فإن حققت الشيء الذي هو حق للإنسان لم تجده إلا سعيه. (ما سعى) (ما) خبرية أو مصدرية، قال الرازي: كونها مصدرية أظهر بدليل قوله تعالى: ژ □ □ □ □ ژ أي سوف يرى المسعى، والمصدر للمفعول يجيء كثيراً يقال: هذا خلق الله أي مخلوقه[٣]. أي أن المصدر هنا بمعنى اسم المفعول.

(سعى) بصيغة الماضي دون المستقبل لزيادة الحث على السعي في العمل الصالح وتقريره هو أنه –تعالى– لو قال: ليس للإنسان إلا ما يسعى، تقول النفس: إني أصلي غداً كذا ركعة وأتصدق بكذا درهماً،

(١) التفسير الكبير: ج٢٩/ص١٤.
(٢) البحر المحيط: ج٨/ص٢٣٦.
(٣) التفسير الكبير: ج٢٩/ص١٥.

ثم يجعل مثبتاً في صحيفتي الآن؛ لأنه أمر يسعى وله فيه ما يسعى فيه ، فقال: ليس له إلا ما قد سعى وحصل وفرغ منه، وأما تسويلات الشيطان وعداته فلا اعتماد عليها[1]. (وأنّ سعيه) أي من خير وشرّ. (سوف) أي من غير شك بوعد لا خلف فيه وإن طال المدى سوف يعرض عليه ويكشف له من أريته الشيء، وفيه بشارة للمؤمنين، وذلك أن الله يريه أعماله الصالحة ليفرح بها، أو يكون يرى ملائكته وسائر خلقه ليفتخر العامل به على ما هو المشهور وهو مذكور لفرح المسلم وحزن الكافر، فإن سعيه يرى للخلق، ويرى لنفسه، ويحتمل أن يقال: هو من رأى يرى فيكون كقوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُه والمؤمنون ﴾ [2].

السر في مجيء (سوف):

السر في مجيء (سوف) هو أنّ رؤية كل إنسان لمسعاه لن تكون إلا في الآخرة.

٣٠- قال تعالى: ﴿ ﴾ الانشقاق: ١٠ - ١١.

المعنى العام: **للمفسرين في معنى هذه الآية وجوه: أحدها: قال الكلبي: السبب فيه لأن يمينه مغلولة إلى عنقه ويده اليسرى خلف ظهره. وثانيها : قال مجاهد : تخلع يده اليسرى فتجعل وراء ظهره. وثالثها : قال قوم: يتحول وجهه إلى قفاه ، فيقرأ كتابه كذلك. ورابعها : أنه يؤتي كتابه بشماله من وراء ظهره لأنه إذا حاول أخذه بيمينه**

(١) التفسير الكبير: ج٢٩/ص١٤.
(٢) التفسير الكبير: ج٢٩/ص١٥.

كالمؤمنين يمنع من ذلك وأوتي من وراء ظهره بشماله[١]. (فسوف يدعوا) أي بوعد لا محالة في وقوعه أبداً"[٢].

(ثبورا) أي حسرة وندماً بنحو قوله: واثبوراه، وهو الهلاك الجامع لأنواع المكاره كلّها لأنّ أعماله في الدنيا كانت أعمال الهالكين.

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في إيثار (سوف) هنا أنّ الحسرة والندم الحقيقِيَّيْنِ إنما يقعان من هذا الكافر يوم القيامة.

٣١- قال تعالى: ژ گ گ گ گ ژ التكاثر: ٣ .

المعنى العام: **هذه الآية تتصل بما قبلها وبما بعدها، أما الأول فعلى وجه الرد والتكذيب أي ليس الأمر كما يتوهمه هؤلاء من أن السعادة الحقيقية بكثرة العدد والأموال والأولاد، وأما اتصاله بما بعده، فعلى معنى القسم أي حقّاً سوف تعلمون لكن حين يصير الفاسق تائباً والكافر مسلماً، والحريص زاهداً.**

النظم: **(كلا) ردع وتنبيه على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه، وقال البقاعي: أي ارتدعوا أتم ردع وانزجروا أعظم زجر عن الاشتغال بما لا يجدي ، فإنه ليس الأمر كما تظنون من أن الفخر في المكاثرة بالأعراض الدنيوية[٣].**

(سوف تعلمون) إنذار ليخافوا فيتنبهوا من غفلتهم، وصيغة المضارع توحي بأن العلم يتجدد لهم بوعد لا خلف فيه بما أنتم عليه

(١) التفسير الكبير: ج٣١/ص٩٧.
(٢) نظم الدرر: ج٨/ص٣٧١.
(٣) نظم الدرر: ج٨/ص٥١٨.

من الخطإ عند معاينة ما يكشفه الموت. والمفعول به محذوف تقديره: سوف تعلمون خطأ رأيكم إذا عاينتم ما وراءكم.

وقوله: (كلا سوف تعلمون) جملة مستأنفة. "والتكرار هنا ذكر للونين من ألوان المعنى، وكان الزمخشري رحمه الله – يدرك هذه الفروق الدقيقة والجليلة فتراه يقول في الآية: (كلا سوف تعلمون. ثم كلا سوف تعلمون) إن الثانية ليست تأكيداً للأولى، لأن حرف (ثم) أذن بأنه يباين الأول في الرتبة، ويختلف عنه اختلافاً بيِّناً، وبهذا صار كما يقول العلامة الزركشي تأسيساً لا تأكيداً"(١).

٣٢ – قال تعالى: ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ژ التكاثر: ٤.

النظم: **"(ثم) دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأوّل وأشد ، كما تقول للمنصوح : أقول لك ثم أقول لك: لا تفعل"(٢). وفي التكرير الحاصل بين هذه الآية وما قبلها وجوه أحدها: أنه للتأكيد، وأنه وعيد بعد وعيد. وثانيها: أن الأول عند الموت حيث يقال له لا بشرى، والثاني في سؤال القبر: من ربك، والثالث عند النشور. وثالثها عن الضحاك سوف تعلمون أيها الكفار : (ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) أيها المؤمنون ، وكان يقرؤها كذلك ، فالأول وعيد والثاني وعد(٣).**

وإيثار (ثم) للمغايرة بين الفعلين من حيث التعلق، فعن علي بن أبي طالب أنه قال: (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) فِى الْقُبُورِ (ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) في البعث: غاير بينهما بحسب التعلق ، وتبقى ثم على بابها من المهلة

(١) الإعجاز البلاغي- دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د. محمد محمد أبو موسى، ص٧٠، ط. مكتبة وهبة.
(٢) الكشاف: ج٤/ص٥٩٩.
(٣) التفسير الكبير: ج٣٢/ص٧٥.

في الزمان"[١]. قال البقاعي: "ولما كان من الأمور ما لو شرح شأنه على ما هو عليه لطال وأدى إلى الملال، دل على أن شرح هذا الوعيد مهول بقوله مؤكداً مع التعبير بأداة التراخي الدالة على علو الرتبة: (ثم كلا) أي ارتدعوا ارتداعاً أكبر من ذلك لأنه (سوف تعلمون) أي يأتيكم العلم من غير شك وإن تأخر زمنه يسيراً بالبعث"[٢].

(سوف) أي بعد مهلة طويلة يتذكر فيها من تذكر (تعلمون) أي يتجدد لكم العلم بوعد لا خلف فيه بما أنتم عليه من الخطإ عند معاينة ما يكشفه الموت ويجر حزنه الفوت من عاقبة ذلك ووباله[٣].

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) هو تأكيد تحقق هذا الوعيد في الآخرة.

(١) تفسير البحر المحيط: ج٨/ص٧٢٢.
(٢) نظم الدرر: ج٨/ص٥١٨.
(٣) نظم الدرر: ج٨/ص٥١٨.

الفصل الثاني
أسرار مجيء (سوف) للوعد

١ – قال تعالى: ژ □ ى ىژ النساء: ٧٤.

المعنى العام: يأمر –عزَّ وجل– المؤمنين أن يقاتلوا في سبيله؛ لأن الله أعدَّ لمن يمتثل لأمره أجراً عظيماً في الدنيا والآخرة.

النظم: الفاء: إمّا للتفريع أي تفريع هذه الآية على ما قبلها (خذوا حذركم) أو فاء الفصيحة التي أفصحت عمَّا دلَّ عليه ما تقدَّم (خذوا حذركم). (فليقاتل) من صيغ الأمر البلاغي (المضارع المقترن بلام الأمر)، وحقّ هذا الأمر الامتثال، ويجوز في الفاء أن تكون استئنافية أو واقعة في جواب شرط محذوف، والتقدير: إنّ أبطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون (في سبيل الله) كلّه وتقديم الجار والمجرور (في سبيل الله) على الفاعل (الذين) للاهتمام به. وعبر بالموصول (الذين يشرون) لإبراز جملة الصلة وإظهارها، ومعنى يشرون أي يبيعون برغبة ولجاجة، والتعبير بالمضارع لإفادة التجدد والحدوث أي يتركون الحياة الدنيا ويستبدلونها بالآخرة. وفي هذا إيحاء بكثرة المعارك التي يدخلونها لإعلاء كلمة الله فجهادهم متجدد وحادث حالاً بعد حال كلما دعت الضرورة إليه.

(ومن يقاتل في سبيل الله) أي يريد إعلاء كلمة الملك المحيط بصفات الجمال والجلال، (مَنْ): شرطية، و(يقاتل) فعل الشرط، والفعل (فيقتل) معطوف على فعل الشرط بالفاء، والفعل (أو يغلب) معطوف كذلك على فعل الشرط بأو ولعلّ سر هذا التغاير بين أداتي العطف الفاء وأو يرجع إلى طبيعة الفعلين المعطوفين على فعل الشرط، فالفعل الأول (يقتل) ليس فيه تخيير لهذا المجاهد الذي باع نفسه لله قبل أن

ينزل ساحة القتال ويخوض المعركة فليس له تخيير في شيء لا يملكه؛ كان العطف بالفاء التي تفيد التعقيب بلا مهلة والترتيب أيضاً فبمجرّد أن دارت رحى المعركة قتل، ومن ثَمَّ وقع أجره على الله سواء تحقق النصر فيما بعد أم لم يتحقق أمّا الفعل (يغلب): ففيه تخيير؛ لأنّ الغلبة على الأعداء لا تتحقق إلا بانتهاء القتال، وقد يحققه المجاهد إذا أخذ بأسباب النصر والغلبة، وقد لا يحققه إذا لم يأخذ بهما فكأن له في هذا الفعل خيار؛ لذا جاء (أو) التي تفيد التخيير.

(فيقتل) على تلك النية (أو يغلب) الكفار، وفيه تنبيه على أن المقاتل يثبت للصفتين: الشهادة أو النصر على الأعداء. (فسوف نؤتيه) الفاء واقعة في جواب الشرط، وسوف: حرف استقبال البعيد، أي بوعد لا خلف فيه بما لنا من العظمة المحيطة بالخير والشر ، والآية من الاحتباك[1]: ذكرُ القتل أولاً دليل على السلامة ثانياً ، وذكر الغالبية ثانياً دليل على المغلوبية أولاً ؛ وربما دل التعبير بسوف على طول عمر المجاهد غالباً -خلافاً لما يتوهمه كثير من الناس - إعلاماً بأن المدار على فعل الفاعل المختار ، لا على الأسباب[2]. ونون العظمة في (نؤتي) توحى بعظمة المؤتى لكون من تولى إيتاءه هو الله العظيم، وصيغة المضارع توحي بتجدد هذا الإيتاء.

(أجراً عظيماً) في الدارين على اجتهاده في إعزاز دين الله - سبحانه وتعالى - واقتصاره على هذين القسمين: (يقتل- ويغلب) حث على الثبات ولو كان العدو أكثر من الضِّعْف "والأجر العظيم وهو المنفعة الخالصة الدائمة المقرونة بالتعظيم ، ومعلوم أنه لا واسطة بين هاتين الحالتين ، فإذا كان الأجر حاصلا على كلا التقديرين لم

(١) سبق تعريف الاحتباك في الفصل الأول، ينظر: ص ٤٨ من هذا البحث.
(٢) نظم الدرر ج٥/ص٣٠٥.

يكن عمل أشرف من الجهاد. وهذا يدل على أن المجاهد لا بد وأن يوطن نفسه على أنه لا بد من أحد أمرين: إما أن يقتله العدو ، وإما أن يغلب العدو ويقهره، فإنه اذا عزم على ذلك لم يفر عن الخصم ولم يحجم عن المحاربة"[1] وللمجاهد في المعركة ثلاث حالات: الاستشهاد أو الغلبة على الأعداء أو الأسر ، ونصَّت الآية على الأولى والثانية، ولم تنصّ على الحالة الثالثة لمزيد فضل الأولى والثانية على الثالثة، أو لأنّ الله لا يرضاها للمجاهدين. وتقديم الاستشهاد في سبيل الله؛ لأنه أشرف الحالتين، ولتقدمه في استتباع الأجر؛ أي أن أجره أفضل عند الله –تعالى– وأعظم. وكلمة (أجر) نكرة، والنكرة في أصل وضعها تدلّ على أمرين: الإفراد والنوعية، والذي يمحض النكرة لواحد من الأمرين: الإفراد أو النوعية إنما هو الوصف أو دلالة الحال، وقد تمحضت النكرة (أجراً) للنوعية بالوصف بكلمة (عظيماً).

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في إيثار (سوف) هنا أن الآية تتحدث عن جزاء المجاهدين عند الله في الآخرة من المنفعة الخالصة الدائمة المقرونة برفعة الدرجات العالية في الجنة حتى يصلوا إلى مصاف درجات الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– وهذا متحقق في الزمن المستقبل الممتد الذي لا يعلم نهايته على وجه التحديد إلا الله –تعالى–، ولقائل أن يقول: إنّ (سوف) بهذا المعنى تفيد وقوع الأجر في الآخرة فقط مع أنَّ الآثار تفيد أنّ أجر المجاهدين في الدنيا والآخرة والأدلة على ذلك كثيرة منها هذه الآية التي معنا فقد قال الله تعالى: (فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) دون التقييد بذكر الدنيا أو الآخرة، فالآية ذكرت الأجر ووصفته فقط دون تحديد وقت، وعدم التحديد هذا يوحي بالعموم والشمول أي

(١) التفسير الكبير ج٥/ص١٤٤.

أن إبقاء الأجر عام وشامل للدنيا والآخرة، ففي الدنيا بالنسبة للشهيد الذكر الحسن بين الناس والبركة في ماله وأولاده فقد عقد سيدنا الإمام البخاري –ﷺ– باباً في كتابه فتح الباري عنونه بعنوان: (بركة مال الغازي حيا وميتاً) ذكر فيه ما يدلّ على أن مال الشهيد إنما تلحقه البركة في الدنيا بعد موته.

أمّا: بالنسبة لمن انتصر على الأعداء ففي الدنيا ينعم بما أعزّه الله به من النصر والغنائم، والرزق الواسع كما حدث للمجاهدين الأوائل حين منَّ الله عليهم بالنصر ففتحت لهم خزائن كسرى وقيصر وسادوا الدنيا بفضل إخلاصهم النية في جهادهم الأعداء وتبليغهم هذا الدين إلى كل من استتر خلف ستار الزمن أو خلف ستار المكان، وصدق النبي –ﷺ– إذ يقول: (وجعل رزقي تحت ظلّ رمحي) ويقول: (ما ترك قوم الجهاد إلا أذلهم الله) نقول: هذا الاعتراض المفترض لا يتعارض مع ما تفيده (سوف) من التنفيس والاستقبال؛ لأن التنفيس هو مطلق التوسيع في المستقبل، فالأجر العظيم في الدنيا يتحقق بعد النصر والغلبة والتمكين، وكل ذلك لا يتمّ في وقت قصير، وإنما الوقت ممتد في المستقبل بقدر أوسع من الاستقبال مع السين فلا يتحقق إلا بعد الانفصال من الحاضر أو زمن الحال. وقد يكون المقصود من الآية الأجر العظيم في الآخرة على المبالغة في كماله وعظمته لدرجة أن أجر الدنيا من الأشياء التي ذكرناها وغيرها الكثير لا يعتدّ بها بجوار أجر الآخرة، فاللهم ارزقنا الشهادة في سبيلك، و(سوف) هنا استعملت في الوعد الذي لا خلف فيه.

٢ – قال تعالى: ژ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ النساء: ١١٤.

المعنى العام: **يقول الله -عز وجل- لا خير في نجوى جميع المناجين إلا نجوى من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، فمن أمر بشيء من ذلك فنجواه خير.**

النظم: **(لا خير) نافية للجنس أي نفي جنس الخير عن هؤلاء المتناجين فتكون النجوى بمعنى: القوم الذين يتناجون إطلاقاً للمصدر على من وقع منه مدلوله نحو: رجل عدل للمبالغة، ونحو (إذ هم نجوى) وقد يكون مصدراً بمعنى التناجي. والمناجاة: هي السر بين اثنين أو أكثر، قال مجاهد: هذه الآية عامة وإن نزلت في تناجي قوم السارق[1]. ونفى الخير عن كثير من متناجيهم أو عن نجواهم يعلم منه أن قليلاً من متناجيهم أو نجواهم بها خير. (إلا من أمر بصدقة) إلا أداة استثناء، مَنْ: اسم موصول، مضاف إليه والمضاف محذوف تقديره: إلاّ مناجاة من أمر بصدقة أو بدون تقدير إن كانت النجوى بمعنى المتناجين: و(أمر بصدقة) جملة الصلة. (أو معروف) وهو من حقّ الغير الذي هو إيصال المنفعة إليهم، والصدقة من جملة المعروف، وقدم الأمر بها ثم عطف المعروف عليها من عطف العام على الخاص اهتماماً وتعظيماً لشأنه.**

(أو إصلاح بين الناس) لَمّا كان إصلاح ذات البين أمراً جليلاً، نبَّه على عظمه بتخصيصه وهو من حق الغير في دفع المضرة عنهم، والآية ذكرت من أعمال الخير ثلاثة أنواع: الأمر بالصدقة والأمر بالمعروف والإصلاح بين الناس، وتخصيصها بالذكر؛ لأن عمل الخير في حق الغير منحصر في إيصال المنفعة إليه ودفع المضرة عنه، والأول والثاني منفعة له والثالث دفع للمضرة عنه. (ومن يفعل ذلك) الإشارة ترجع إلى الأمر العظيم الذي أمر به من هذه الأشياء، و(مَنْ):

(١) زاده: ج٣/ص٤٠٧.

شرطية، و(يفعل) فعل الشرط، وجوابه: (فسوف نؤتيه). (ذلك) اسم إشارة للبعيد وكان تعريف المفعول به باسم الإشارة لتمييزه في ذهن السامعين أكمل تمييز، لصحة إحضاره في ذهن السامع بواسطة الإشارة إليه حسّاً، وإيثار لام البعد لمزيد نفعها. (ابتغاء مرضات الله)؛ لأن العمل لا يكون إلا بالنية. فما أعظم هذه الثلاثة إذا قام المجتمع بها فلابد أن يتحقق النفع للمجتمع كلّه. (فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) "أي في الآخرة بوعد لا خلف فيه ، وهذه الآية من أعظم الدلائل على أن المطلوب من أعمال الظاهر رعاية أحوال القلب في إخلاص النية ، وتصفية الداعية عن الالتفات إلى غرض دنيوي ، فإن كان رياء انقلبت فصارت من أعظم المفاسد"(١).

وتأمل صياغة الآية فقد بنى الله عز وجل الكلام على الأمر في قوله: (إلا من أمر بصدقة...) ورتب الجزاء على الفعل فقال: (ومن يفعل ذلك...) ليدل على أنه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل أدخل فيهم، وأن العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الأمر من حيث إنه وصلة إليه(٢).

وعلق الشهاب بقوله: "لأنّ الفاعل أولى بمضاعفة أجره، وتعظيم ثوابه، أو أنه عبر عن الأمر بالفعل إذ هو يكنى به عن جميع الأشياء"(٣).

وعلق الشيخ زاده بأنّ الغرض الأصلي من استثناء الأمر التحريض على فعل الخير كأنه قيل: لا خير فيما يفعله الإنسان إلا في هذه الأفعال، ثم بين وجه كونها خيراً ببيان ثواب فاعلها"(١).

---

(١) نظم الدرر ج٥/ص٤٠١.
(٢) حاشية الشهاب المسمى عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي: ج٣/ص٣٤٩، ط. دار الكتب العلمية.
(٣) حاشية الشهاب: ج٣/ص٣٥٠.

وفي الآية التفات من الغيبة في قوله تعالى: (ابتغاء مرضات الله) لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة إلى التكلم في قوله تعالى: (فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) بنون العظمة، ففيه خروج عن مقتضى الظاهر، إذ مقتضى الظاهر أن يقول: ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف يؤتيه الله أجراً عظيماً، ولعل سر هذا الالتفات أن الله تعالى يضرب أوتار النفس البشرية يزيدها تنبيهاً وإيقاظاً وهزّاً وتحريكاً لتمثيل لهذا الخير العظيم، وفوائد الالتفات كثيرة يقول ابن الأثير: تلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب غير أنها لا تحدّ بحد ولا تضبط بضابط"(٢).

السرّ في مجيء (سوف):

السرّ في إيثار التعبير بـ(سوف) دون غيرها هو أنّ هذا الأجر العظيم لا يكون إلا في الآخرة فهناك تنفيس في زمن المستقبل البعيد غير المتصل بالحال فدلالة الفعل المضارع (نؤتيه) ممتدة في المستقبل البعيد غير المتصل بالحال، ويجوز أن يكون الأجر قد يتحصل منه شيء في الدنيا، لكن تلك المنفعة التي تعمّ من يأمر بالصدقة أو المعروف أو الإصلاح بين الناس لا تحقق في الحال بعد فعل هذه الأشياء ولا تحقق أيضاً في المستقبل القريب المتصل بهذا الحال إنما تتحقق حينما تؤتى ثمارها ويشيع الخير والألفة والمحبة في المجتمع، ومن ثَمَّ يكون هذا هو الأجر العظيم لمن فعل هذه الأشياء الثلاثة لأنها عائدة بالنفع لا محالة عليه كما عادت سابقاً على من فعل بهم أي على من أمر لهم بصدقة أو معروف أو أصلح بينهم. كما أنَّ (سوف) أفادت أن هذا الوعد من الله واقع لا محالة فهو وعد لا خلف فيه.

---

(١) حاشية محيي الدين زاده على تفسير البيضاوي: ج٣/ص٤٠٨، ط. دار الكتب العلمية.

(٢) المثل السائر لابن الأثير: ج٣/ص١٦٨. دار نهضة مصر.

٣- قال تعالى: ژ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ژ النساء: ١٤٥ - ١٤٦ .

المعنى العام: يخبر الله عز وجل عن أن المنافقين في البطن الأسفل من النار، وليس لهم أتباع ينصرونهم إلا الذين رجعوا عمَّا كانوا عليه من النفاق بالندم والإقلاع وأصلحوا أعمالهم الظاهرة من الصلاة وغيرها، واجتهدوا في أن تكون عصمتهم بالملك الأعظم ولم يريدوا بشيء من عبادتهم غير وجهه، في هذه الحال يجعلهم الله في مصاف المؤمنين.

النظم: (إن المنافقين في الدرك الأسفل)، (إنَّ) لتأكيد مضمون الجملة ومعناها حيث إنه لا محيص لهم عن هذا العذاب في (الدرك الأسفل): الطبق الذي في قعر جهنم، والنار سبع دركات، سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض. وجعلهم الله تعالى في قعر جهنم؛ لأنهم أخبث الكفرة إذ ضموا إلى الكفر استهزاء بالإسلام وخداعاً للمسلمين. (ولن تجد لهم نصيراً) الخطاب عام لكل من يسمعه، وفيه تأكيد لوعيد الله -عز وجل- لهؤلاء المنافقين بالعذاب في الدرك الأسفل من النار، وذهب الزمخشري إلى أنّ النفي بلن للتأبيد وللتأكيد وتنكير (نصيراً) للتقليل أي لن تجد لهم أدنى نصير، وتقديم (لهم) للتخصيص بهم.

(إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين). شرط الله - تعالى- في هذه الآية لرفع العقاب عن المنافقين أموراً أربعة: الأول: التوبة عما ارتكبوه من القبائح. والثاني: إصلاح العمل وإتيان ما حسنه الشرع من أعمال القلوب والجوارح، والثالث: الاعتصام بالله بأن يكون الغرض من ترك القبائح وفعل الحسنات طلب مرضاة الله ورحمته، الرابع: أن تكون تلك الأمور

المذكورة خالصة لوجه الله"[١]. فهذا استثناء من الوعيد السابق، والتعريف باسم الموصول (الذين) للنص على جملة الصلة، والجمل المعطوفة عليها لأنها المقصودة أو أنّ في مضمون الصلة ما يومئ إلى ما يأتي بعده. وقال تعالى: (فأولئك مع المؤمنين) ولم يقل: (فأولئك المؤمنون) لأنهم دونهم فإيمان المؤمنين لم تخالطه شائبة النفاق، وفي هذا تعريض بغيرهم وكون هؤلاء مع المؤمنين أي يكونوا معهم في الدرجات العالية من الجنة، واسم الإشارة يعود إلى اسم الموصول في قوله: (إلا الذين تابوا) وتعريفهم باسم الإشارة يوحي بأنهم بعد توبتهم جديرون بهذا الجزاء الذي يأتي بعد اسم الإشارة. (وسوف يؤت الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلماً)، الواو استئنافية ويقال فيها أيضاً: واو الابتداء وهي الواو التي يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى، ولا مشاركة له في الإعراب، ويكون بعدها الجملتان: الاسمية والفعلية، "وذكر بعضهم أن هذه الواو قسم آخر، غير الواو العاطفة. والظاهر أنها الواو التي تعطف الجمل، التي لا محل لها من الإعراب، لمجرد الربط، وإنما سميت واو الاستئناف، لئلا يتوهم أن ما بعدها من المفردات، معطوف على ما قبلها"[٢]. (سوف) حرف استقبال، وحذفت الياء من الفعل خطّاً واختصاراً. (المؤمنين) أي بوعد لا خلف فيه وإن أصابهم قبل ذلك ما أصابهم وإن طال عذابهم ، تهذيباً لهم من المعاصي بما أشار إليه لفظ (سوف). (أجراً عظيماً) أي بالخلود في الجنة التي لا ينقضي نعيمها ، ولا يتكدر يوماً نزيلها ، فيشاركهم من كان معهم ، لأنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم"[٣] . فأوقع الله الأجر للمؤمنين كأنّه أصل ثابت لهم أولاً وبالأصالة ولغيرهم

(١) حاشية زاده على تفسير البيضاوي: ج٣/ص٤٣٧.
(٢) الجنى الداني: ص١٦٣.
(٣) نظم الدرر: ج٥/ص٤٤٥.

بالتبعية فسبحان من شرَّفهم بالإيمان الخالص (الذين آمنوا ولم يلبثوا إيمانهم بظلم)، ولعلّ هذا هو السرّ في أنه لم يعد بالضمير عليهم وإيثار (سوف) على السين؛ لأنّ إيتاء الأجر هو يوم القيامة وهو زمان مستقبل ليس قريباً من الزمان الحاضر، وقد قالوا: إن (سوف) أبلغ في التنفيس من السين، وذهب الطاهر بن عاشور إلى أن المراد من الأجر أجر الدنيا وهو النصر وحسن العاقبة وأجر الآخرة، إذ الكل مستقبل، وأن ليس المراد منه الثواب لأنه حصل من قبل(١).

ونظم ما بعد (سوف) في هذه الآية يختلف عن نظم غيرها من الآيات حيث هنا عرَّف الله -تعالى- المفعول به بالعلميَّة بينما في كثير من الآيات تأتي ضميراً، وأتى باسم الله الأعظم ظاهراً بينما في كثير من الآيات يأتي ضميراً أيضاً، فلعلّ السر في تعريف المؤمنين بالعلمية دون الضمير ليسجل الله -تعالى- على السامعين أنّ هذا الجزاء إنما هو خاص بفئة معينة هذه الفئة إنما هي المؤمنون المخلصون في إيمانهم لله تعالى، أما غيرهم من المنافقين فلا يستحقون هذا الجزاء، وفيه أيضاً وضع للاسم الظاهر موضع الاسم المضمر لتقدم المرجع (المؤمنين) فكان من حقه أن يكون ضميراً وهذا ما يعرف بخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، ولعل السر في ذلك أن الله -تعالى- أراد أن يمكن هذا المفعول به في ذهن السامعين؛ لأنّ المقام يقتضي اعتناء بشأن هذا المفعول به، ومن الاعتناء بشأنه أن لا ينوب عنه ضميره؛ لأن الضمير وإن جاز أن ينوب عنه لا يغنى غناء الاسم الظاهر، لما يتضمنه الاسم الظاهر (المؤمنين) من وقع له معنى عند المتلقي والسامع(٢).

---

(١) التحرير والتنوير: ج٥/ص٢٤٤.
(٢) النظم البلاغي ص٣١٢ بتصرف.

أما وضع المظهر (يؤت الله) موضع المضمر (يؤتهم) لتقدم المرجع في قوله: (وأخلصوا دينهم لله) فهذا من خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر أيضاً فلعلّ الغرض أيضاً هو زيادة تمكين هذا المسند إليه في ذهن السامع اعتناءً بشأنه نحو قوله: (قل هو الله أحد. الله الصمد) فالمقام يقتضي الاعتناء بتمكين لفظ الجلالة في النفوس لتربية المهابة منه -سبحانه- في نفوس المؤمنين، فهو الذي يجزيهم بفضله وعفوه وكرمه ومنته عليهم.

السر في مجيء (سوف):

إن سياق الآيتين هو الحديث عن جزاء المنافقين في الآخرة أيضاً، فالأجر العظيم هو دخولهم الجنة برحمته -تعالى-، وزمن الدخول ممتدّ في المستقبل، فهذا الوعد من الله للمؤمنين نافذ لا محالة لا خلف فيه وإن تأخر إلى يوم الفصل يوم القيامة.

٤- قال تعالى: ژ گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ژ النساء: ١٥٢ .

المعنى العام: يبين الله -عز وجل- ما أعدَّ لأهل طاعته الذين آمنوا به -سبحانه- وبرسله.

النظم: هذه الآية في مقابلة الآية السابقة عليها، فالذين آمنوا بالله ورسله في مقابلة الذين يكفرون، والبشارة في مقابلة الإنذار. (والذين آمنوا) الواو استئنافية، ومعنى أن الواو استئنافية أي أن ما بعدها كلام جديد منقطع عمَّا قبلها، وتعريف المسند إليه (الذين آمنوا) باسم الموصول؛ لأنّ في مدلول صلته (الذين آمنوا) والمعطوف على جملة الصلة (ولم يفرقوا بين أحد منهم) ما يومئ إلى نوع الخبر، فمدلول الصلة: الإيمان وعدم التفريق بين الرسل يشير إلى أنّ الخبر من نوع الإثابة وحسن الجزاء وهو: (فأولئك سوف يؤتيهم أجورهم)،

وهذا من البلاغة بمكان لدلالة أوّله على آخره. (بين أحد) دخول (بين) على (أحد) يقتضي متعدد لوقوعه في سياق النفي، وقال الزمخشري: "إن أحداً عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما، تقول: ما رأيت أحداً فتقصد العموم .... ولم يفرقوا بين اثنين منهم أو بين جماعة"(١)، (فأولئك) من وضع المظهر (اسم الإشارة) موضع المضمر؛ لأنّ مقتضى الظاهر أن يعبر عنهم بالضمير لتقدم المرجع (الذين آمنوا) لكمال العناية بتمييز المسند إليه بالإشارة إليه حسّاً.

(سوف نؤتيهم) أي بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه وإن تأخر، فالمراد تحقيقه ، لا تحقيق تأخره ، ولكنه أتى بالأداة التي هي أكثر حروفاً وأشد تنفيساً ، لأن هذا السياق لأهل الإيمان المجرد الشامل لمن لم يكن له عمل، ولذا أضاف الأجور إليهم، وختم بالمغفرة لئلا يحصل لهم بأس وإن طال المدى. (أجورهم) كاملة بحسب نياتهم وأعمالهم(٢). فسوف تفيد تأكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تأخر(٣).

قال الشهاب على أن المضارع (نؤتيهم) موضوع للاستقبال فدخول حرف الاستقبال عليه لا يكون إلا لتأكيد إثباته كما أن لا يفعل لَمَّا كان لنفي الاستقبال كان لن يفعل لتأكيد ذلك"(٤). قال الرازي: إن إيتاءهم كائن لا محالة وإن تأخر، فالغرض به توكيد الوعد وتحقيقه لا كونه متأخراً، وفي الآية التفات من التكلم في قوله تعالى: (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) إلى الغيبة في قوله: (سوف يؤتيهم)، قال البيضاوي: "وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب بالياء

(١) الكشاف: ج٤٤٨/١.
(٢) نظم الدرر: ج٥/ص٤٥٢.
(٣) البيضاوي: ج٣/ص ٣٨٤.
(٤) حاشية الشهاب: ج٣/ص٣٨٤.

على تلوين الخطاب"، وعلق الشهاب بقوله: وتلوين الخطاب[1] المراد به الالتفات من التكلم للغيبة والتلوين جعله لوناً بعد لون للتطرية، وهو كالتفنن أعمّ من الالتفات"[2].

(وكان الله غفوراً رحيماً) أي عليهم بتضعيف حسناتهم أو أنه سبحانه وعدهم بالثواب ثم أخبرهم بعد ذلك بأنه يتجاوز عن سيئاتهم ويعفو عنها ويغفرها"[3].

السر في مجيء (سوف):

السر في مجيء (سوف) كما رأينا من سياق الآية، وكما عرفنا من تعليق الشهاب وفخر الدين الرازي عليها أنّ الآية تتحدث عن جزاء الله لهؤلاء المؤمنين الذين آمنوا به حقَّ الإيمان وبرسله جميعاً ولم يفرقوا بين أحد منهم، وهذا الجزاء أخروي، فكانت (سوف) أليق وأوفق بالمقام، فتناسب معناها مع معاني جاراتها. كما أنها جاءت لتأكيد هذا

(١) ذكر ابن كمال باشا أن تلوين الخطاب أعمّ من الالتفات وقد أدخل معه أموراً كثيرة منها: ١-العدول عن الخطاب الخاص إلى الخطاب العام. ٢- صرف الخطاب عن مخاطب إلى مخاطب. ٣- العدول عن صيغة من الصيغ الثلاث وهي: صيغة التكلم، وصيغة الخطاب، وصيغة الغيبة، إلى الأخرى منها. ٤-الالتفات وذكر أنه تغيير أسلوب الكلام بنقله من إحدى الصيغ الثلاث المذكورة سابقاً إلى الأخرى؛ بشرط أن يكون الكلام بعد النقل مع من كان قبله والفرق بين هذا وما قبله، أن هذا خاص فيما إذا كان المخاطب قبل أن وما بعده واحداً، بينما الذي قبله عام لا يشترط فيه استمرار الكلام بعد النقل مع من كان قبله. ٥- تغيير الأسلوب دون نقل. (تلوين الخطاب لابن كمال باشا، دراسة وتحقيق. د.عبدالخالق الزهراني ص٣١٢.

(٢) حاشية الشهاب: ج٣/ص٣٨٥.

(٣) التفسير الكبير: ج١٠/ص١٥٤.

الوعد بالجزاء في الآخرة فهو وعد منجز لا خلف فيه وإن تأخر إلى يوم القيامة فهو كائن لا محالة.

٥- قال تعالى: ژ ے ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ژ الأعراف: ١٤٣.

المعنى العام: **تحكي هذه الآية مناجاة موسى لربه -تعالى- ورغبته في رؤيته.**

النظم: **(ولما جاء موسى لميقاتنا) الواو استئنافية، واللام للاختصاص كما في قوله: (لدلوك الشمس) وليست بمعنى عند كما ذهب إليه بعض النحاة[1]. فكأنه قيل: واختص مجيئه بميقاتنا.**

(وكلمه ربه) حصل له التكليم من الله تعالى من غير واسطة، فصيغة الماضي تحكي الحال الماضية (قال رب أرني أنظر إليك) قال الطبري: "حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال ثني حجاج عن أبي بكر الهذليّ قال: لما تخلف موسى عليه السلام بعد الثلاثين، حتى سمع كلام الله، اشتاق إلى النظر إليه فقال: (ربّ أرني أنظر إليك! قال: لن تراني)، وليس لبشر أن يطيق أن ينظر إليّ في الدنيا، من نظر إليَّ مات! قال: إلهي سمعت منطقك، واشتقت إلى النظر إليك، ولأن أنظر إليك ثم أموتُ أحب إليّ من أن أعيش ولا أراك ! قال: فانظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف تراني"[2].

(١) حاشية الشهاب: ج٤/ص٣٦٢.
(٢) تفسير الطبري -جامع البيان عن تأويل آي القرآن- ابن جرير الطبري- تحقيق عبد الله التركي: ج١٠/ص٤٢٠. ط هجر للطباعة والنشر.

(لن تراني) قال ابن كثير: وقد أشكل حرف (لن) هاهنا على كثير من العلماء؛ لأنها موضوعة لنفي التأبيد، هذا الرأي الذي ذهب إليه الإمام ابن كثير هو رأي الزمخشري وليس رأي جمهور النحاة يقول المرادي: لن: حرف نفي، ينصب الفعل المضارع، ويخلصه للاستقبال، ولا يلزم أن يكون نفيها مؤبَّداً، خلافاً للزمخشري. ذكر ذلك في (أنموذجه) وقال في غيره: (لن) لتأكيد ما تعطيه (لا) من نفي المستقبل. قال ابن عصفور: وما ذهب إليه دعوى لا دليل عليها، بل قد يكون النفي بـ(لا) آكد من النفي بـ(لن) [(١)]**. وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله بأنّ المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة، كما سنوردها عند قوله تعالى: ژ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ [القيامة: ٢٢ – ٢٣] وقوله تعالى إخبارًا عن الكفار: ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ژ [المطففين: ١٥].**

وقيل: إنها لنفي التأبيد في الدنيا، جمعاً بين هذه الآية، وبين الدليل القاطع على صحة الرؤية في الدار الآخرة[(٢)]**. وذهب السمين الحلبي إلى أنه لا يلزم من نفي (لن) التأبيد"**[(٣)]**.**

(ولكن انظر إلى الجبل) فإنه أكبر منك وأشد خلقاً والاستدراك بـ(لكن) واضح. (فإن استقر مكانه) ولم يفتته التجلي. (فسوف تراني) بوعد لا خلف فيه[(٤)]**. فإن شرطية وفعلها (استقرّ) وجوابها: (فسوف تراني) علق الرؤية على استقرار الجبل في مكانه، وسرّ إيثار إنْ الشرطية على (إذا) رغم أنهما للشرط في المستقبل أنّ إنْ الشرط فيها**

(١) الجنى الداني في حروف المعاني: ص٢٧٠.
(٢) تفسير القرآن العظيم –ابن كثير-: ج٢/ص٩٣٨. ط مؤسسة الريان للطباعة والنشر.
(٣) الدر المصون – ج٣/ص٣٣٨.
(٤) نظم الدرر: ج/٧٨.

ليس مقطوعاً بوقوعه، ولذلك كان الحكم النادر موقعاً لإنْ؛ لأنّ النادر غير مقطوع به في غالب الأمر، ورؤية الله تعالى في الدنيا نادرة بل لم تقع لأحد.

(فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً) قال ابن جرير الطبري: " يقول -تعالى ذكره- فلما اطّلع الرب للجبل، جعل الله الجبل دكًّا، أي: مستويًا بالأرض (وخر موسى صعقًا)، أي: مغشيا عليه"(١). فقد ترتب على التجلي أمران أحدهما: تفتت الجبل وتفرّق أجزائه ، والثاني خرور موسى مغشياً عليه(٢).

(فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) قال الطبري: "يقول -تعالى ذكره- فلما ثاب إلى موسى -عليه السلام- فهمُه من غشيته، وذلك هو الإفاقة من الصعقة التي خرّ لها موسى (قال سبحانك): تنزيهًا لك، يا رب، وتبرئةً لك أن يراك أحد في الدنيا ثم يعيش (تبت إليك) من مسألتي إياك أي ما سألتك من الرؤية (وأنا أوّل المؤمنين) بك من قومي، أن لا يراك في الدنيا أحد إلا هلك"(٣).

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) هو إرادة الله -عز وجل- نفي الرؤية في المستقبل القريب في الدنيا وإثباتها لموسى -على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام- في الدنيا وإثباتها له ولنبينا ولسائر الأنبياء وللمؤمنين في الآخرة. ويؤيد ذلك الكثير من الآيات مثل قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) أي في الآخرة، والكثير من أحاديث النبي -ﷺ- كما أن إيثار (سوف) هنا لأنّ الآخرة منقطعة

(١) تفسير الطبري: ج١٠/ص٤٢٧.
(٢) البحر المحيط: ج٤/ص٣٨٢.
(٣) تفسير الطبري: ج١٠/ص٤٣٣.

الاتصال بالحال، كما أن الله تعالى أراد أن يؤكد الرؤية في الآخرة و(سوف) آكد وأبلغ من غيرها فكان استعمالها مناسباً للمقام.

٦ – قال تعالى: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮊ التوبة: ٢٨.

المعنى العام: نداء من الله عز وجل إلى الذين أقروا بالإيمان ليخبرهم أن المشركين نجس فلا يحل لهم دخول المسجد الحرام، ويطمئنهم أنه سوف يبدلهم خيراً منهم.

النظم: (إنما المشركون نجس) أسلوب قصر حيث قصر الله تعالى المشركين العريقين في الشرك المستمرين عليه على أنهم متصفون بالنجاسة؛ لأنهم كانوا لا يغتسلون ولا يغسلون ثيابهم من النجاسة لذا "بولغ في وصفهم بها بأن جعلوا عينها فقال: (نجس). أما أبدانهم فاتفق الفقهاء على طهارتها؛ لأن النبي –ﷺ– شرب من أوانيهم ولم ينه عن مؤاكلتهم ولا أمر بالغسل منها ولو كانت نجسة ما طهرها الإسلام[(١)]".

(فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) لنجاستهم، وإنما نهى عن الاقتراب للمبالغة أو للمنع عن دخول الحرم، وقيل: المراد النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقاً وإليه ذهب أبو حنيفة"[(٢)]. وسرّ مجيء إنما لإفادة القصر هنا أن إنما يؤتى بها للرد على من يعتقد نفي ما أثبته بها وهذا مذهب هبد القاهر فيها ويعلق د/ أبو موسى بقوله: هذا النص صريح في أن إنما لا تأتي إلا حين يراد تصحيح معتقد أو ظن يذهب إلى نقيض المفهوم منها[(٣)]. فالصحابة لم يكن

(١) نظم الدرر: ج٨/ص٤٢٩.
(٢) حاشية الشهاب ج٤/ص٥٥٠.
(٣) دلالات التراكيب: ص١٤٦.

اعتقادهم في المشركين أنهم نجس فصحح الله لهم ذلك. (بعد عامهم هذا) أي بعد حج عامهم هذا، هو عام تسع من الهجرة، وهو العام الذي حج فيه أبو بكر أميراً على الموسم، وأتبع بعلي ونودي فيها ببراءة . وقال قتادة: هو العام العاشر الذي حج فيه رسول الله ﷺ [١].

(وإن خفتم عيلة) (إنْ) شرطية، و(خفتم): فعل الشرط، و(عيلة): فقراً بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من المكاسب، و(عيلة): مصدر كالقايلة من قال يقيل، ويحتمل أن تكون نعتا لمحذوف تقديره حالا عائلة[٢].

(فسوف يغنيكم الله من فضله) الفاء واقعة في جواب الشرط، و(سوف) حرف تنفيس واستقبال، وجملة (يغنيكم الله من فضله) في محل جزم جواب الشرط، وصيغة المضارع توحي بالتجدد والحدوث حالاً بعد حال أي أن الغنى متجدد ومستمرّ، وهذا "إخبار عن غيب في المستقبل على سبيل الجزم في حادثة عظيمة، وقد وقع الأمر مطابقاً لذلك الخبر فكان معجزة"[٣]. وفتح الله عليهم بالغنى من أشياء كثيرة منها أخذ الجزية من أهل الذمة، وإدرار المطر عليهم، وأسلمت العرب فتمادى حجهم ونحرهم وبالجهاد وغير ذلك من أبواب الخير التي فتحها الله على العرب والمسلمين في كل عصورهم حتى اليوم، وما نراه الآن من تلك الأموال التي تنوء الخزائن عن حفظها لهي خير دليل على صدق وعد الله لهم.

(إن شاء) الغرض من الخبر السابق إزالة الخوف بالعيلة، وهذا الشرط يمنع من إفادة هذا المقصود وهذا الغرض، ولكن الفخر الرازي

(١) البحر المحيط: ج٥/ص٢٩.
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز –القاضي ابن عطية الأندلسي ج٣/ ص٢١.
(٣) التفسير الكبير: ج١٦/ص٢٢.

أجاب عن ذلك بوجوه: الأول: أن لا يحصل الاعتماد على حصول هذا المطلوب، فيكون الإنسان أبداً متضرعاً إلى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات. الثاني: أن المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم رعاية الأدب. الثالث : أن المقصود التنبيه على أن حصول هذا المعنى لا يكون في كل الأوقات وفي جميع الأمور ، لأن إبراهيم عليه السلام قال في دعائه : ژ ى ي ي □ ژ [البقرة : ١٢٦] وكلمة "من" تفيد التبعيض. فقوله تعالى في هذه الآية : (إن شاء) المراد منه التبعيض"(١). وقيل: كان تعليق الغناء بالمشيئة؛ لأنه يقع في حق بعض دون بعض وفي وقت دون وقت. وقيل: لإجراء الحكم على الحكمة، فإنْ اقتضت الحكمة والمصلحة إغناءكم أغناكم"(٢).

(إن الله عليم حكيم) أي عليم بأحوالكم ومصالحكم، وحكيم فيما يعطي ويمنع.

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) هو أن الغنى لم يحققه الله – تعالى– للمسلمين في الحال وإنما تتحقق لهم في المستقبل بعد الفتوحات الإسلامية، وبعد أن استقرّ الأمر للمسلمين وامتلأت خزائنهم من الأموال، فقد روي أنه في عهد سيدنا عمر بن الخطاب –ﷺ– كثر المال ولم يجدوا فقيراً واحداً ليعطي من هذا المال بعد أن نادى المنادي في الناس من كانت به فاقة فليذهب إلى بيت مال المسلمين، ولما أراد الله –تعالى– أن يؤكد لهم الغنى على وجه ينقطع معه كل شك أنى بـ(سوف) لتأكيد هذا الوعد. وقد يقول قائل: إن الغنى حدث فعلاً للمسلمين في المستقبل لكنه القريب فكانت السين تغني عن (سوف)

(١) التفسير الكبير: ج١٦/ص٢٢.
(٢) البحر المحيط: ج٥/ص٢٩.

في هذا المقام. نقول: إن الفرق الدقيق بين السين وسوف يكمن في الاتصال بالحال وعدم الاتصال به، فالسين تخلص المضارع للمستقبل المتصل بالحال، كما أن مدة الاستقبال مع (سوف) أوسع.

٧- قال تعالى: ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ يوسف: ٩٨.

المعنى العام: تحكي الآية اعتراف إخوة يوسف بخطئهم وطلبهم من أبيهم أن يستغفر لهم واستجابته لهم.

النظم: (يا) أداة نداء فقد نادى إخوة يوسف أباهم بالأداة التي تدل على الاهتمام العظيم بما بعدها لما له من عظيم الوقع[١]. (استغفر لنا ذنوبنا) الأمر خرج إلى الالتماس. (إنا كنا خاطئين) تعليل لما سألوه من الاستغفار لذنوبهم؛ لأنّ الاعتراف شرط التوبة كما قال -ﷺ- (إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه) فقالوا مؤكدين تحقيقاً للإخلاص في التوبة: (إنا كنا خاطئين) أي متعمدين للإثم بما ارتكبنا في أمر يوسف -عليه السلام-.

(قال سوف أستغفر لكم) جملة مستأنفة مؤكداً لكلامه أن أطلب أن يغفر لكم ربي أي الذي لم يزل يحسن إليَّ ويربيني أحسن تربية فهو الجدير بأن يغفر لبنيّ حتى لا يفرق بيني وبينهم في دار البقاء. قال الزمخشري: "أراد الدوام على الاستغفار لهم. فقد روي أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة"[٢]. وقال البقاعي: " ولعله عبر بـ (سوف) لأنه أخَّر الدعاء إلى صلاة الليل، وقيل : إلى ليلة الجمعة ؛ وقيل : يؤخذ منها أن طلب الحوائج إلى الشباب أسهل

(١) نظم الدرر: ج١٠/ص٢١٥.
(٢) الكشاف: ج٣/ص٣٢٤.

منه إلى الشيوخ"[١]. قال البيضاوي: "أخره أي الاستغفار لهم إلى وقت السحر أو إلى صلاة الليل أو إلى ليلة الجمعة تحريا لوقت الإجابة أو إلى أن يستحل لهم من يوسف أو يعلم أنه عفا عنهم فإن عفو المظلوم شرط المغفرة". وعلق الشهاب بقوله: يأبى هذه الاحتمالات الثلاث (سوف) لأنها أبلغ من السين في التنفيس فكان حقه على ما ذكر السين، ورُدَّ بما في المغني من أنّ ما ذكره مذهب البصريين، وغيرهم يسوي بينهما، وهذا غير وارد حتى يحتاج إلى الدفع لأن التنفيس التأخير مطلقاً، ولو أقلّ من ساعة فتأخيره إلى السحر، ومضى ذلك اليوم محل للتنفيس بسوف"[٢]. قال أبو حيان: "(سوف أستغفر لكم) عدة لهم بالاستغفار بسوف، وهي أبلغ في التنفيس من السين"[٣].

(إنه هو الغفور الرحيم) هذا من باب رجاء يعقوب –عليه السلام– بحصول الغفران لهم.

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) هنا دون السين ما ردّ به على الشهاب من أن (سوف) تفيد التنفيس وهو التأخير مطلقاً، ولو أقل من ساعة فتأخير الاستغفار إلى السحر، ومضى ذلك اليوم محل للتنفس بـ(سوف). كما أنها كما قال أبو حيان أبلغ في التنفيس من السين.

٨– قال تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮊ الانشقاق: ٧ – ٨.

(١) نظم الدرر: ج١٠/ص٢١٦.
(٢) حاشية الشهاب: ج٥/ص٣٥٨.
(٣) البحر المحيط: ج٥/ص٣٤٠.

المعنى العام: **(فأما من أوتي) الفعل مبني للمجهول وفي هذا إشارة إلى أنّ أمور الآخرة كلها قهر، وفي غاية السهولة عليه سبحانه وتعالى، فبناء الفعل للمجهول يوحي بقوة أثر الفاعل في الفعل.**

(كتابه) أي صحيفة حسابه التي كتبتها الملائكة وهو لا يدري ولا يشعر. (بيمينه) من أمامة وهذا هو المؤمن المطيع. (فسوف يحاسب أي يقع حسابه بوعد لا خلف فيه وإن طال الأمد لإظهار الجبروت والكبرياء والقهر"[1]. و(سوف) من الله واجب وهو كقول القائل: اتبعني فسوف تجد خيراً، فإنه لا يريد به الشك، وإنما يريد ترقيق الكلام. والحساب اليسير هو أن تعرض عليه أعماله، ويعرف أن الطاعة هذه، والمعصية هذه، ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير"[2].

(حسابا يسيراً) أي سهلا لا يناقش فيه لأنه كان يحاسب نفسه، أما من نوقش في الحساب فقد عذب، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: من نوقش في الحساب فقد هلك، فقلت يا رسول الله إن الله يقول: ژ چ ڇ ڇ ڇ چ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ژ، قال ذلك العرض لأنّ من نوقش الحساب عذب.

قال الرازي: وفي قوله (يحاسب) إشكال؛ لأن المحاسبة تكون بين اثنين، وليس في القيامة لأحد قبل ربه مطالبة فيحاسبه، وجوابه: أن العبد يقول: إلهي فعلت المعصية الفلانية، فكأن ذلك بين الرب والعبد محاسبة والدليل على أنه تعالى خص الكفار بأنه لا يكلمهم، فدل ذلك على أنه يكلم المطيعين والعبد يكلمه فكانت المكالمة محاسبة.

السر في مجيء (سوف):

(١) نظم الدرر: ج٨/ص٣٦٩.
(٢) التفسير الكبير: ج٣/ص٩٦١.

لعل السر هو أنّ أمر الحساب في الآخرة، فهذا الوعد منجز لا محالة فهو وعد لا خلف فيه؛ ن (سوف) هنا للوجوب وليست للشك.

٩- قال تعالى: ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ژ الضحى: ٥.

المعنى العام: هذه الآية: موعد شامل لما أعطاه الله في الدنيا من الفلج والظفر بأعدائه يوم بدر، ويوم فتح مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجا.

النظم: (ولسوف) يقول الزمخشري: فإن قلت: ما هذه اللام الداخلة على سوف؟ قلت: هي لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة، والمبتدأ محذوف تقديره : ولأنت سوف يعطيك ، كما ذكرنا في: لا أقسم أن المعنى: لأنا أقسم؛ وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع إلاّ مع نون التأكيد ، فبقي أن تكون لام ابتداء ، ولام الابتداء لا تدخل إلاّ على الجملة من المبتدأ والخبر ، فلا بد من تقدير مبتدإ وخبر ، وأن يكون أصله: ولأنت سوف يعطيك. فإن قلت: ما معنى الجمع بين حرفي التوكيد والتأخير؟ قلت: معناه أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخّر، لما في التأخير من المصلحة"[١].

وذكر الرازي سؤالاً هو: ما الفائدة في قوله: (ولسوف) ولم لم يقل: وسيعطيك ربك؟ الجواب: فيه فوائد إحداها : أنه يدل على أنه ما قرب أجله ، بل يعيش بعد ذلك زماناً. وثانيها : أن المشركين لما قالوا : ودعه ربه وقلاه، فالله تعالى رد عليهم بعين تلك اللفظة ، فقال : ژ ڃ ڃ چ چ چ ژ الضحى: ٣ ، ثم قال المشركون: سوف يموت محمد، فرد الله عليهم ذلك بهذه اللفظة فقال : ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ژ "[٢].

(١) الكشاف: ج٤/ص٥٧٨.
(٢) التفسير الكبير: ج٣١/ص١٩٣.

ولسوف يعطيك أي بوعد لا خلف فيه، وإن تأخر وقته بما أفهمته الأداة"[١].

(ربك) أي الذي لم يزل يحسن إليك بوعد الدنيا ووعد الآخرة.

(فترضى) أي فيتعقب على ذلك ويتسبب عنه رضاك، هذا شامل لما منحه الله بعد كمال النفس من كمال العلم وظهور الأمر وإعلاء الدين وغير ذلك مما أعطاه الله في الدنيا، وشامل أيضاً لما ادخره له سبحانه وتعالى- في الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود والشفاعة العظمى إلى غير ذلك مما لا يدخل تحت الحدود"[٢].

السر في مجيء (سوف):

لعل السر في مجيء (سوف) هنا ما ذكره الرازي من أنّ إيثار (سوف) على السين يدلّ على عدم قرب أجل النبي -ﷺ- وقت نزول الآية،كما أن (سوف) تفيد تأكيد وعد الله – عزوجل- لنبيه بالعطاء الدائم في الدنيا والآخرة.

(١) نظم الدرر: ج٢٢/ص١٠٨.
(٢) نظم الدرر: ج٢٢/ص٤٥٦.

الخاتمة

بعد هذه المعايشة الطيبة التي منَّ الله عليَّ بها في صحبة هذه الآيات المباركات التي احتوت على هذا الحرف من حروف المعاني (سوف) أَصِل إلى نهاية هذه المعايشة لأسجل في خاتمة هذا البحث أهم نتائجه وتوصياته.

وقبل ذلك أحب أن أذكِّر القارئ الكريم بأن هذا البحث جاء في مقدمةٍ، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وفهارس فنية.

فأمَّا المقدمة: فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطته، ومنهجه.

التمهيد: **وتحدثت فيه عن أمرين:**

الأول: **(سوف) عند اللغويين والمفسرين.**

والثاني: **النظم القرآني عند الإمام عبد القاهر الجرجاني.**

الفصل الأول: **أسرار مجيء (سوف) للوعيد.**

الفصل الثاني: **أسرار مجيء (سوف) للوعد.**

الخاتمة: **وبها أهم النتائج التي توصل إليها البحث وتوصياته.**

الفهارس الفنية: **فهرس الشواهد القرآنية، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.**

هذا ملخص البحث أمّا النتائج فهي:

١- أن دلالة (سوف) عند معظم اللغويين تنحصر في كونها حرف تنفيس وتراخ واستقبال.

٢- فرَّق اللغويون بين (سوف) والسين في أن مدة الاستقبال مع (سوف) أوسع من السين، وأن (سوف) تنفرد أيضاً بدخول لام

الابتداء عليها، وأن (سوف) يغلب استعمالها في الوعيد، وقد تأتي للوعد.

٣- أضاف المفسرون من أمثال فخر الدين الرازي، أبو حيان التوحيدي، والألوسي، والبيضاوي، والشهاب الخفاجي، ومحيي الدين شيخ زاده، والبقاعي أن (سوف) تأتي لتأكيد الوعيد والوعد.

٤- أضاف الألوسي والبقاعي أن (سوف) قد تأتي للوعيد ولا تفيد التسويف والتبعيد[١].

٥- أنّ الإمام عبد القاهر الجرجاني قد وضع نظريته في النظم ليدلل بها على أنّ القرآن الكريم معجز بنظمه البديع.

٦- ذكر الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه الدلائل ما يمكن أن نطلق عليه الأنموذج التطبيقي لدراسة نظم القرآن الكريم، ومن ثَمَّ الوصول إلى إعجازه، وهذا الأنموذج هو قوله تعالى: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯫ ﮊ هود: ٤٤.

٧- حاولت في دراستي هذه أن أتبع هذا الأنموذج في الدراسة وأن أحذو حذوه.

٨- جاءت (سوف) في القرآن الكريم في نحو واحد وأربعين موضعاً، أفادت الوعيد في اثنين وثلاثين موضعاً، وأفادت الوعد في نحو تسعة مواضع.

٩- كان لما اقترن بـ(سوف) من حروف أخرى للمعاني أثر كبير في توجيه المعنى المراد.

---

(١) ينظر: ص ٨٥ من هذا البحث..

١٠-اقترنت اللام المجردة بـ(سوف) في موضعين، والمقرونة بالفاء في موضع واحد، واقترنت الفاء بـ(سوف) في ستة وعشرين موضعاً، ومع اللام في موضع واحد، واقترنت الواو بـ(سوف) في خمسة مواضع، واقترنت كلا بـ(سوف) في موضعين، وجاءت (سوف) ولم يقترن بها شيء من حروف المعاني في خمسة مواضع.

١١-قمت بدراسة حروف المعاني الداخلة على (سوف) ومناقشة آراء اللغويين فيها للإفادة من ذلك في توجيه المعنى المراد[١].

١٢-قمت بدراسة بعض القضايا البلاغية محل الخلاف في تفسير بعض الآيات .

١٣-قمت بتعريف بعض المصطلحات البلاغية التي تحتاج إلى تعريف.

١٤-تطرقت هذه الدراسة للمتشابه اللفظي الذي وقع بين بعض الآيات موضوع البحث أو بينها وبين غيرها.

أمّا عن أهمّ توصيات البحث:

١- يجب العناية بدراسة حروف المعاني من خلال النظم القرآني لاستجلاء أسرار مجيئها والتعبير بها، ففيها دلالة كبيرة على أنّ القرآن الكريم معجز.

٢- يجب توجيه عناية الباحثين والدارسين لدراسة حروف المعاني ودلالتها وخصائصها وأسرارها في الحديث النبوي الشريف والشعر العربي.

(١) ينظر: البحث ص٦٩.

الفهارس

١.فهرس الشواهد القرآنية٠
٢.فهرس المصادر والمراجع٠

١- فهرس الشواهد القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
ﮋ ﮉ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮋ	النساء	٢٩ – ٣٠	٢٣
ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ں ﮋ	النساء	٥٦.	٣١
ﮋ □ ی ی ﮋ	النساء	٧٤	٩٩
ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﮋ	النساء	١١٤	١٠٣
ﮋ ﮯ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮋ	النساء	١٤٥ – ١٤٦	١٠٧
ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮋ	النساء	١٥٢	١١١
ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﮋ	المائدة	١٤	٣٤
ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮋ	المائدة	٥٤	٣٧
ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ	الأنعام	٥	٤٢

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
ﮔ ﮕ ﮖﮗ			
ﮋ □ □ □□ □ □ ﮊ	الأنعام	٦٧	٤٥
ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ	الأنعام	١٣٥	٤٧
ﮋ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭨ ﭩ ﮊ	الأعراف	١٢٣	٤٩
ﮋ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ □ ﮊ	الأعراف	١٤٣	١١٤
ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﮊ	التوبة	٢٨	١١٨
ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ	هود	٣٨ ، ٣٩	٥١
ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ	هود	٩٣	٥٤
ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ	يوسف	٩٨	١٢٢
ﮋ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭢ ﭣ ﭤ ﮊ	الحجر	٢ – ٣	٥٦
ﮋﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭ ﭮﮊ	الحجر	٩٦	٥٩
ﮋ ﭑ ﭒ ﭓﭔ ﭕ ﭖﮊ	النحل	٥٥	٦٠

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮌ	الكهف	٨٧	٦٣
ﮋ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮌ	مريم	٥٩	٦٥
ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﮌ	مريم	٦٦	٦٧
ﮋ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ ﮌ	الفرقان	٤٢	٧٢
ﮋ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮌ	الفرقان	٧٧	٧٥
ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮌ	الشعراء	٤٩	٧٧
ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮌ	العنكبوت	٦٦	٨٠
ﮋ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﮌ	الروم	٣٤	٨١
ﮋ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮌ	الصافات	١٧٠	٨٣
ﮋ ﯞ ﯟ ﯠ ﮌ	الصافات	١٧٥	٨٤
ﮋ □ □ □ ﮌ	الصافات	١٧٩	٨٦
ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﮌ	الزمر	٣٩ – ٤٠	٨٧

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ گ گ گ گ ژ	غافر	٧٠ – ٧١	٨٨
ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ژ	الزخرف	٤٤	٩٠
ژ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ	الزخرف	٨٩	٨٩
ژ □ ژ	النجم	٣٩ – ٤١	٩٣
ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ژ	الانشقاق	٧ – ٨	١٢٣
ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ ژ	الانشقاق	١٠ ، ١١	٩٥
ژ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ	الضحى	٥	١٢٥
ژ گ گ گ ژ	التكاثر	٣	٩٦
ژ گ گ گ گ ژ	التكاثر	٤	٩٧

٢- فهرس المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: أبوالفضل إبراهيم.

٢- الإعجاز البلاغي- دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، د. محمد محمد أبوموسى، ط. مكتبة وهبة.

٣- الإيضاح مع البغية.

٤- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة- عبدالمتعال الصعيدي.

٥- التحرير والتنوير- الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.

٦- تفسير البحر المحيط.

٧- تفسير البيضاوي.

٨- تفسير الطبري -جامع البيان عن تأويل آي القرآن- ابن جرير الطبري- تحقيق عبد الله التركي. ط هجر للطباعة والنشر.

٩- تفسير القرآن العظيم – ابن كثير. ط مؤسسة الريان للطباعة والنشر.

١٠-التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب- فخر الدين الرازي. ط دار الكتب العلمية، بيروت.

١١-تلوين الخطاب لابن كمال باشا، دراسة وتحقيق. د. عبدالخالق الزهراني.

١٢-الجنى الداني في حروف المعاني – صنعة الحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاصل، ط/ منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٣-حاشية الشهاب المسمى عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، ط. دار الكتب العلمية.

١٤-حاشية محيي الدين زاده على تفسير البيضاوي، ط. دار الكتب العلمية.

١٥-الدر المصون.

١٦-دراسات منهجية في علم البديع- الشحات أبو ستيت.

١٧-دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني- تحقيق محمود محمد شاكر، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٨-دلالات التراكيب- دراسة بلاغية.

١٩-ديوان أبي العتاهية- قدم له وشرحه مجيد طراد، ط. دار الكتاب العربي.

٢٠-رصف المباني في شرح حروف المعاني.

٢١-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم – الألوسي.

٢٢-عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ- السمين الحلبي، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط. دار الكتب العلمية.

٢٣-فن البديع، د. عبد القادر حسين، ط. دار الشروق.

٢٤-الكشاف.

٢٥-كشف الظنون حاجي خليفة.

٢٦-لسان العرب لابن منظور.

٢٧-المثل السائر لابن الأثير. دار نهضة مصر.

٢٨-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – القاضي ابن عطية الأندلسي .

٢٩-مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني د. محمد محمد أبوموسى، ط. مكتبة وهبة.

٣٠-المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، د.إنعام فوَّال عكَّاوي، ط. دار الكتب العلمية.

٣١-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن مبارك، ط. دار الفكر.

٣٢-مفتاح العلوم، السكاكي، تعليق: نعيم زرزور، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٣-نظرية البيان بين عبدالقاهر والمتأخرين. د. حسن إسماعيل عبدالرازق، ط. دار الطباعة المحمدية.

٣٤-النظم البلاغي بين النظرية والتطبيق، حسن إسماعيل عبدالرازق ، دار الطباعة المحمدية.

٣٥-نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- البقاعي. ط. دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.